



القِطْعَةُ مِنَ الْعَالَمِيَّةِ



الزَّيْجُ وَالصَّفْصَافُ

الزَّيْجُ

A
R
A
B
C
O
M
I
C
S
E
T







الرَّيْحُ وَالصَّفْصَافُ



إعداد: الدكتور ألبير مطلق
عن قصة: كينث غراهم
رسوم: مارتين إيثشسن

مكتبة لبنان

أُصْدِرَ في العام ١٨٩٥ كِتَابُ «العَصْرُ الذَّهَبِيُّ» الَّذِي تَتَاوَلَ فِيهِ حَيَاةُ
الْأَطْفَالِ فِي الرَّيفِ الْإِنْكِلِيزِيِّ، وَالَّذِي لاقى نَجَاحًا عَظِيمًا نَظِيرُهُ. ثُمَّ أُصْدِرَ
فِي الْعَامِ ١٨٩٨ تَكْمِلَةٌ لِعَمَلِهِ ذَاكَ فِي كِتَابٍ عُنْوَانُهُ: «أَيَّامُ الْحُلُمِ».
أَمَّا كِتَابُهُ «الرَّيْحُ وَالصَّفْصَافُ» فَقَدْ أُصْدِرَهُ فِي الْعَامِ ١٩٠٨ وَأَرَادَهُ
كِتَابًا لِلْأَحْدَاثِ مِنَ النَّاسِ. وَلَاقَى الْكِتَابُ، فِعْلًا، شَعْبِيَّةً وَاسِعَةً بَيْنَ
الْأَحْدَاثِ لِكَيْتُهُ تَجَاوَزَهُمْ أَيْضًا إِلَى الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ إِقْبَالًا شَدِيدًا.
وَقَدْ رَأَى النَّاسُ فِي هَذَا الْمُؤَلَّفِ كِتَابًا بِالْغَلَاظِ التَّشْوِيقِ يُصَوِّرُ طَبَائِعَ النَّفْسِ
الْبَشَرِيَّةِ وَأَلْوَانَ الصَّرَاعِ الَّذِي تُوَجِّهُهُ وَالرَّغَبَاتِ الَّتِي تَنَازَعُهَا، كَمَا يُصَوِّرُ شَيْئًا
مِنْ حَيَاةِ الْحَيَوَانِ وَيَصِفُ جَمَالَ الْحَيَاةِ مَعَ الطَّبِيعَةِ.

جَعَلَ الْمُؤَلَّفُ أَبْطَالَهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ، لَكَيْتِهَا حَيَوَانَاتٌ تُمَثِّلُ، فِي
حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، صِفَاتِ الْبَشَرِ وَتَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَهُمْ. لِذَا تُخَاطَبُ الشَّخْصِيَّاتُ
فِي الْكِتَابِ مُخَاطَبَةَ الْعَاقِلِ، زِيَادَةً فِي إِعْطَاءِ التَّأْثِيرِ الْمَقْصُودِ مِنْ أَحْدَاثِ
الْقِصَّةِ، إِلَّا عِنْدَمَا تُذَكَّرُ لَفْظَةً «حَيَوَانَاتٍ» نَصًّا، فَتُخَاطَبُ عِنْدَئِذٍ، حِرْصًا
عَلَى طَبِيعَةِ الْأُسْلُوبِ الْعَرَبِيِّ، مُخَاطَبَةَ غَيْرِ الْعَاقِلِ.

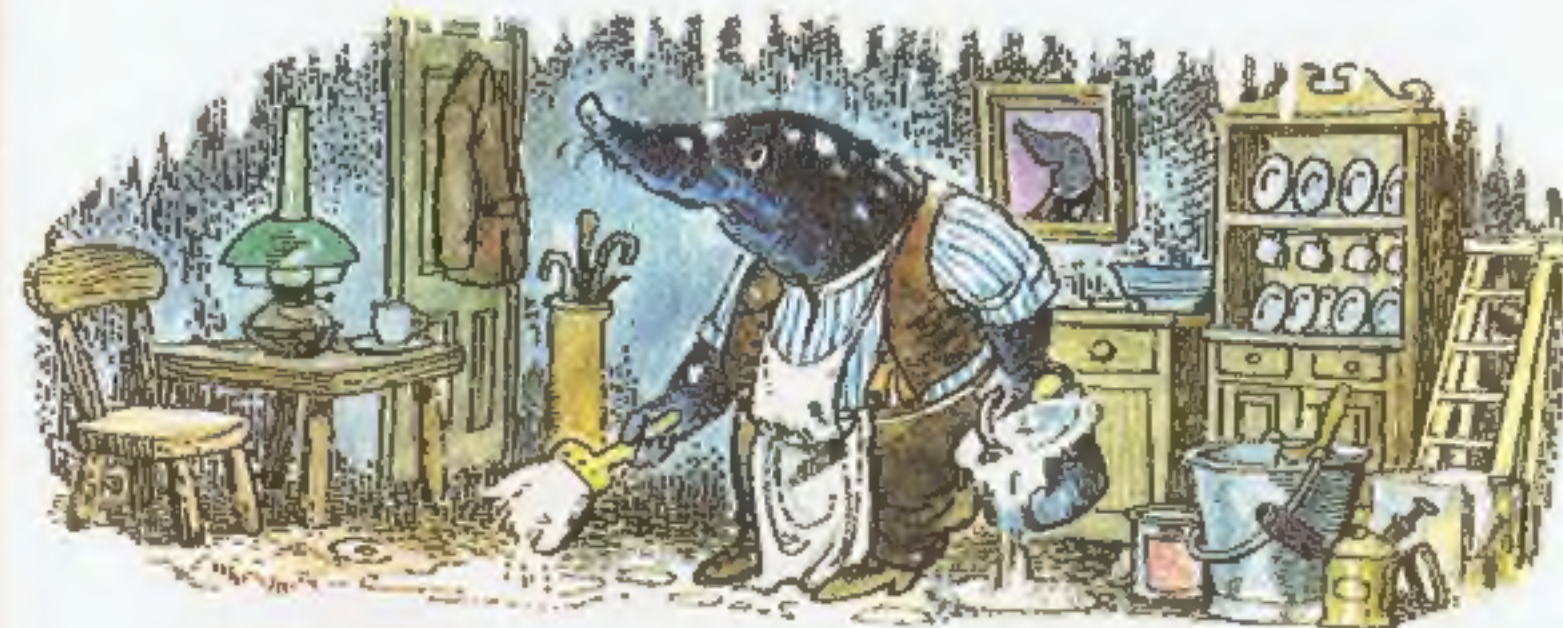
سِلْسِلَةُ «الْقِصَصِ الْعَالَمِيَّةِ»

- | | |
|--|--|
| ١- جَزِيرَةُ الْكَتَر | ٧- الْفُرْسَانُ الثَّلَاثَةُ |
| ٢- أُسْرَةُ رُوْبِنْسُنِ السَّوِيسَرِيَّةِ | ٨- شَبَحُ بَاسْكَرْفِيلِ |
| ٣- الْحَدِيقَةُ السَّرِيَّةُ | ٩- كُنُوزُ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ |
| ٤- رِحْلَةُ إِلَى بَاطِنِ الْأَرْضِ | ١٠- حَوْلَ الْعَالَمِ فِي ثَمَانِينَ يَوْمًا |
| ٥- قِصَّةُ مَدِينَتَيْنِ | ١١- أَنْشُودَةُ الْعِيدِ |
| ٦- الْعَالَمُ الْمَقْشُودُ | ١٢- الرَّيْحُ وَالصَّفْصَافُ |

١ ضَفَّةُ النَّهْرِ

أَقَامَ الْخُلْدُ يَعْمَلُ جَادًا طَوَالَ الصَّبَاحِ فِي طِلَاءِ بَيْتِهِ طِلَاءً كِلْسِيًّا
أَبْيَضَ تَعَوَّدَ أَنْ يَقُومَ بِهِ فِي كُلِّ رَبِيعٍ . وَقَدْ تَنَاثَرَتْ لَطَخَاتُ الْكِلْسِ
عَلَى جَسَدِهِ الْفِرَائِي ، وَأَحْسَ بِالْأَمِ التَّعَبِ فِي ظَهْرِهِ وَسَاعِدَيْهِ .

الرَّبِيعُ يَمَلَأُ الدُّنْيَا فِي الْخَارِجِ . وَكَانَ الْخُلْدُ يَشْعُرُ فِي جُحْرِهِ
الْمُعْتَمِ تَحْتَ الْأَرْضِ بِالْهَوَاءِ النَّقِيِّ وَدِفْءِ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ فَيَتَلَهَّفُ إِلَى
الْخُرُوجِ . رَمَى فَجَاءَةً فِرْشَاتَهُ ، وَقَالَ :



« مَا لِي وَلِلطَّلَاءِ الْآنَ ! » ثُمَّ زَحَفَ صُعْدًا عَبْرَ النَّفَقِ الْأَمَامِيِّ
لَبَيْتِهِ . وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْبَشَ بِمَخَالِبِهِ وَيَكْشِطَ وَيَخْمُشَ لِيَشُقَّ لَهُ
طَرِيقًا عَبْرَ النَّفَقِ الَّذِي امْتَلَأَ بِالْحَشَائِشِ وَالتُّرَابِ وَالْحَصَى خِلَالَ أَشْهُرِ
الشَّتَاءِ . أَخِيرًا ، وَبَعْدَ جَهْدٍ عَظِيمٍ ، بَرَزَ خَطْمُهُ فَوْقَ الْأَرْضِ ، ثُمَّ
وَجَدَ نَفْسَهُ يَتَدَحْرَجُ عَلَى الْعُشْبِ الدَّافِي .

أَحْسَ بِالسَّعَادَةِ وَقَالَ مُتَعَجِّبًا مِنْ نَفْسِهِ : « الرَّبِيعُ الْبَدِيعُ يَدْعُونِي
إِلَيْهِ ، وَأَنَا أَحْشُرُ نَفْسِي تَحْتَ الْأَرْضِ لِأَطْلِي الْمَتَرِلَ ! »

رَاحَ الْخُلْدُ يَقْفِزُ بِمَرَحٍ فَوْقَ الْمَرَجِ . وَبَيْنَمَا هُوَ يَجْتَازُ الْحُقُولَ
وَجَدَ نَفْسَهُ أَمَامَ ضَفَّةِ نَهْرٍ .

لَمْ يَرِ مِنْ قَبْلُ نَهْرًا . كَانَ الْمَاءُ يُزْخَرُ بِالْحَيَاةِ وَالْحَرَكَةِ ، فَيَتَطَايَرُ
مِنْهُ الرِّذَاذُ وَيَجِيشُ مُتَمَوِّجًا وَيَتَأَلَّقُ تَأَلُّقًا . وَرَاحَ الْخُلْدُ يَلْعَبُ وَيَقْفِزُ
مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ إِلَى أَنْ أَحْسَ بِالتَّعَبِ .

جَلَسَ عِنْدَ ضَفَّةِ النَّهْرِ الْمُعْشَبَةِ وَرَاحَ يُنْصِتُ إِلَى خَرِيرِ الْمَاءِ . وَبَيْنَا
هُوَ يَنْظُرُ نَاحِيَةَ الضَّفَّةِ الْأُخْرَى رَأَى فَجْوةً سَوْدَاءَ . وَرَأَى فِي الْفَجْوَةِ
جِسْمًا صَغِيرًا يَلْمَعُ وَيَغْمِزُ فَعَرَفَ أَنَّهُ حَيَوَانٌ ! وَسُرْعَانَ مَا أَطْلَ مِنْ
الْفَجْوَةِ رَأْسُ صَغِيرٍ .



كَانَ الرَّأْسُ الَّذِي أَطْلَ بُنْيَا ذَا شَارِبَيْنِ طَوِيلَيْنِ وَأُذْنَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ
وَشَعْرٍ سَمِيكَ نَاعِمٍ. إِنَّهُ جُرَذُ الْمَاءِ!

وَقَفَ الْحَيَوَانَانِ يَنْظُرُ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ.

قَالَ جُرَذُ الْمَاءِ: «مَرْحَبًا، أَيُّهَا الْخُلْدُ! إِسْمِي جُرَيْدُ.»

وَقَالَ الْخُلْدُ: «مَرْحَبًا، يَا جُرَذَ الْمَاءِ! إِسْمِي خُلُودُ.»

«أَتَرْغَبُ فِي الْمَجِيءِ إِلَى عِنْدِي؟»

«كَيْفَ أَصِلُ إِلَيْكَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ مَسَالِكَ النَّهْرِ؟»



إِنْخَنَى جُرَيْدُ وَفَكَ حَبَلًا، وَرَكِبَ زَوْرَقًا صَغِيرًا يَتَسَعُ لِحَيَوَانَيْنِ،
وَرَا حَ يُجَدِّفُ نَاحِيَةَ الْخُلْدِ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ بِزَوْرَقِهِ الْأَبْيَضِ وَالْأَزْرَقِ
مَدَّ مِخْلَبَهُ إِلَى الْخُلْدِ وَأَعَانَهُ عَلَى رُكُوبِ الزَّوْرَقِ.

تَصَادَقَ الْحَيَوَانَانِ فِي الْحَالِ. وَأَذْهَشَ جُرَذَ الْمَاءِ أَنَّ صَدِيقَهُ لَمْ
يَعْرِفْ تِلْكَ الْمِنْطَقَةَ مِنْ قَبْلُ.

قَالَ جُرَيْدُ: «لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ شَيْءٍ يُدَانِي مُتَعَةَ التَّجَوُّلِ
بِالزَّوْرَقِ.»

ثُمَّ خَطَرَتْ لَهُ فِكْرَةٌ: «إِسْمَعْ، إِذَا لَمْ تَكُنْ مَشْغُولًا هَذَا
الصَّبَاحَ، فَإِنِّي أَقْتَرِحُ أَنْ نَقُومَ بِزُهَّةٍ نَهْرِيَّةٍ نَشْغُلُ فِيهَا نَهَارَنَا.»

أَسْنَدَ خُلُودُ ظَهْرَهُ إِلَى الْوَسَائِدِ النَّاعِمَةِ وَقَالَ بِسَعَادَةٍ: «فَلْنَبْدَأْ
نُزْهَتَنَا فَوْرًا!»

وَجَلَبَ جُرَيْدُ سَلَّةَ نُزْهَةٍ وَقَالَ: «ضَعْ هَذِهِ عِنْدَ قَدَمَيْكَ!»

«مَاذَا فِي دَاخِلِهَا؟»

أَجَابَ جُرَيْدُ: «دَجَاجٌ مُبَرَّدٌ، وَلَحْمٌ بِقَرٍ مُبَرَّدٌ، وَخِيَارٌ مُخَلَّلٌ،

وْخَضِرَاوَاتٌ، وَخُبْزٌ، وَعَصِيرٌ -»



هَتَفَ خَلُودٌ وَقَدْ أَحْسَسَ بِالْجُوعِ : « كَفَى ! هَذَا كَثِيرٌ ! »
فَقَالَ جُرَيْدٌ جَادًّا : « أَتَظُنُّ ذَلِكَ ؟ هَذَا مَا آخُذُهُ عَادَةً فِي مِثْلِ
هَذِهِ التُّرَاهَاتِ . »

رَاحَ جُرَيْدٌ يُجَدِّفُ بِصَمْتٍ ، بَيْنَمَا كَانَ الْخُلْدُ يُمَتِّعُ نَفْسَهُ
بِالْمَشَاهِدِ الْجَدِيدَةِ وَالرَّوَائِحِ الطَّيِّبَةِ ، وَيُنْزِلُ يَدَهُ فِي الْمَاءِ بِسَعَادَةٍ
وَمَرَحٍ . وَسَرَّ جُرْدُ الْمَاءِ أَنَّ صَدِيقَهُ يَسْتَمْتِعُ بِالرَّحْلَةِ وَرَاحَ يَشْرَحُ لَهُ
سَبَبَ تَعَلُّقِهِ بِالنَّهْرِ قَائِلًا : « إِنَّهُ عَالَمِي ، وَلَا أُرِيدُ عَالَمًا سِوَاهُ . »
سَأَلَ خَلُودٌ : « لَكِنْ أَلَا تَشْعُرُ بِالضُّجَرِ أحيانًا ؟ تَعِيشُ وَحِيدًا أَنْتَ
وَالنَّهْرُ ، وَلَا أَحَدَ يُؤْنِسُ وَحَدَّثَكَ ؟ »



« لَا أَحَدَ يُؤْنِسُ وَحَدَّثَكَ ! لَا بُدَّ أَنَّكَ تَمْرَحُ ! إِنَّهُ مَلِيٌّ
بِالْمَخْلُوقَاتِ . أحيانًا تُضَايِقُنِي كَثَرَتُهُمْ . فَهنا تَعِيشُ ثَعَالِبُ الْمَاءِ ،
وَدَجَاجُ الْمَاءِ ، وَالْبَطُّ وَسِوَاهَا ، وَتَرَاهَا حَوْلَكَ طَوَالَ النَّهَارِ ! »



قَالَ خَلُودٌ مُشِيرًا يَدِهِ إِلَى أَجْمَةٍ مِنَ الْأَشْجَارِ مُمتَدَّةٍ وَرَاءَ
الْحُقُولِ : « مَا ذَاكَ ؟ »

« إِنَّهَا غَابَةٌ . نَحْنُ ، سُكَّانُ ضِفافِ الْأَنْهَارِ ، لَا نَذْهَبُ كَثِيرًا إِلَى
هُنَاكَ . » قَالَ خَلُودٌ : « أَلَيْسَ فِي الْغَابَةِ مَخْلُوقَاتٌ طَيِّبَةٌ ؟ »

« نَعَمْ . السَّنَاجِبُ لَطِيفَةٌ ، وَكَذَلِكَ الْأَرَانِبُ . وَلَا بَأْسَ بِالْغُرَيْرِ .
الْحَيَوَانَاتُ لَا تُزْعِجُهُ ، وَخَيْرٌ لَهَا أَلَّا تَفْعَلَ ! »

قَالَ خَلُودٌ : « وَلِمَ يَرْغَبُ أَحَدٌ فِي إِزْعَاجِهِ ؟ »

« فِي الْغَابَةِ حَيَوَانَاتٌ أُخْرَى : إِنْنُ عَرَسٌ ، وَالْقَاقِمُ ، وَالثَّعْلَبُ
وَأَمْثَالُهَا . لَيْسَتْ خَطِرَةٌ ، لَكِنْ يُسْتَحْسَنُ عَدَمُ الْوُثُوقِ بِهَا . »

« وَمَا ذَاكَ الَّذِي أَرَاهُ وَرَاءَ الْغَابَةِ ؟ فَإِنِّي أَرَى رُقْعَةً زَرْقَاءَ وَتِلَالًا
وَدُخَانًا . »

أَجَابَ جُرَيْدٌ : « وَرَاءَ الْغَابَةِ الْعَالَمُ الْفَسِيحُ . وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَعْنِيكَ
وَلَا يَعْنِينِي . »

وهكذا بدأ رحلتهم. ثم أحس الخلد بالجوع.

بينما كانا يأكلان مرةً بهما زائران: ثعلب ماءٍ وغُرَيْرٌ. كان ثعلبُ الماء - واسمه ثعلبة - يطاردُ سمكةً فلما رآهما خرج إلى ضفةِ النهرِ، ونفضَ جسده وحيَّاهُ. أما الغُرَيْرُ - واسمه غرغور - فقد اقتربَ منهما ومدَّ رأسه المُخطَّطَ من وراء شجرةٍ وتمتم: «جاءنا زوار!» ثم تابعَ طريقه.



وقد ذكرَ لهما ثعلبة أن صديقَهُم المتعبَ في الجوار. وما كاد يُكملُ كلامه حتى أطلَّ ضفدوع الضفدعُ يقودُ زورقَ سباقٍ



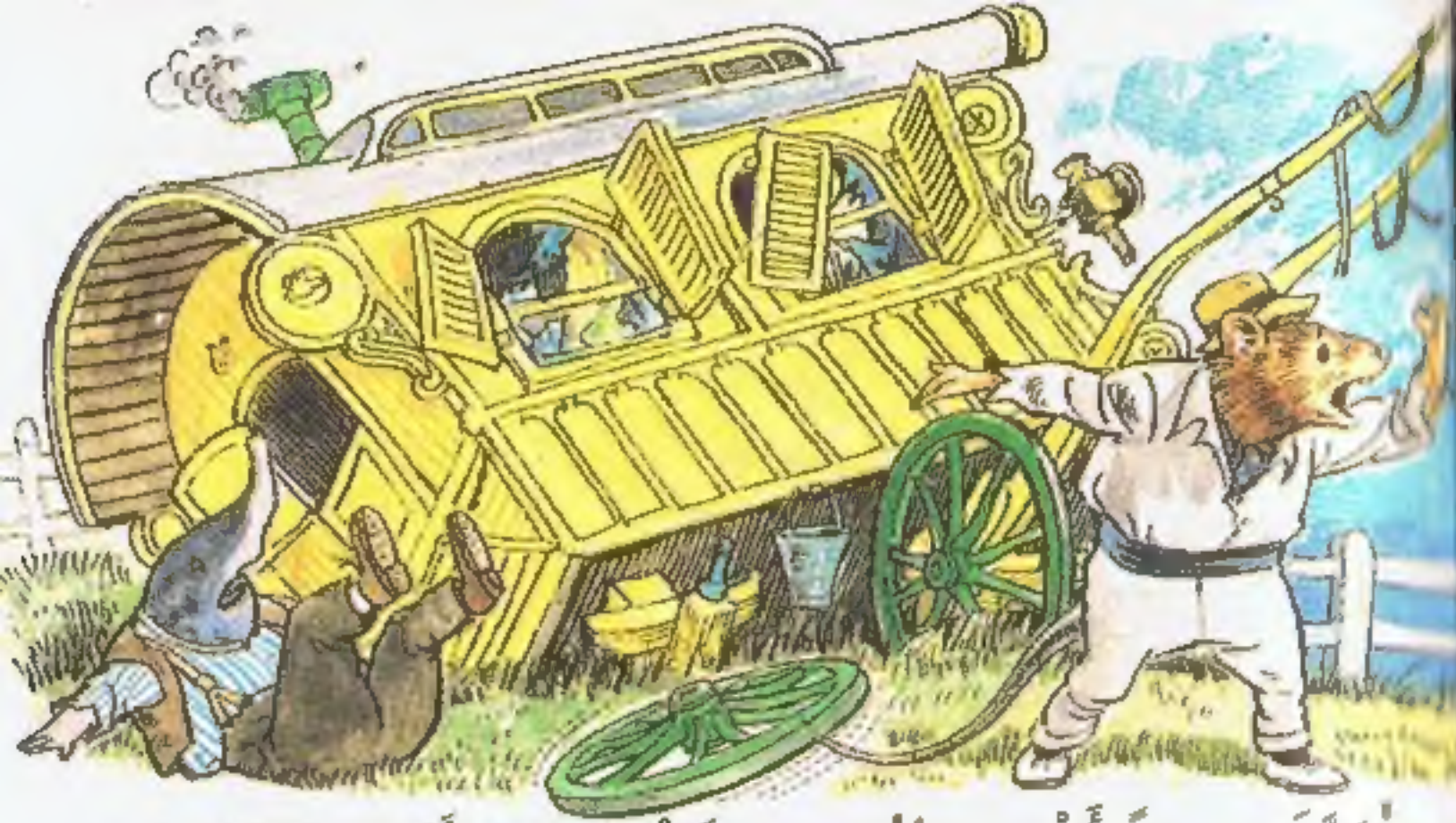
بمِجْدافَيْنِ. كان ضفدوع قصيراً بديناً، يُجذِّفُ تجذيفاً رديئاً ويميلُ في تجذيفه ذاتَ اليمينِ وذاتَ اليسارِ.

قال جرَّيد: «لَنْ يُتَقَنَّ التجذيفَ أبداً.»

وقال ثعلبة: «فليتعلمْ أولاً كيف يُمسِكُ المِجْدافَيْنِ!» ثم غطسَ فجأةً في الماءِ واندفعَ وراءَ سمكةٍ.

تابعَ جرَّيد يقول: «ضفدوع يَبْحَثُ دائماً عن شيءٍ جديدٍ. اشترى في العامِ الماضي كوخاً نهرياً نقلاً، لكن سرعانَ ما مله.»

عادَ جرَّيدُ الماءِ والخلدُ إلى بيتِ جرَّيد على ضفةِ النهرِ وجلسا إلى جانبِ النارِ في مقعدين مريحين واسعين. ودعا جرَّيدُ الماءِ صديقه الخلدَ ليقيمَ معه طوالَ الصيفِ. أوى الخلدُ إلى الفراشِ في غرفةٍ لطيفةٍ مريحةٍ، وأخذَ يُنصِتُ إلى صوتِ ماءِ النهرِ يُداعِبُ بيتَ صديقه وصوتَ الريحِ وهي تُلاعِبُ أشجارَ الصفصافِ من حوله.



وَأَعَدَّ لَهَا حِصَانًا أَشْهَبَ يَجْرُهَا . وَكَانَ يَنْوِي الْقِيَامَ بِأَوَّلِ رِحْلَةٍ لَهُ بِتِلْكَ
الْعَرَبَةِ ، فَأَقْنَعَ الْخُلْدَ وَجَرَّدَ الْمَاءَ بِمُرَافَقَتِهِ .

كَانَ ضَفْدُوعٌ مُقْعَمًا بِالْبِشْرِ وَالسَّعَادَةِ . رَاحَ يَتَأَمَّلُ وَيَقُولُ بِحِمَاسَةٍ :
« سَكُونُ كُلَّ يَوْمٍ فِي مَكَانٍ ، مَا أَجْمَلَ هَذَا الزَّمَانُ ! »
انْطَلَقَ ثَلَاثَتُهُمْ ، لَكِنْ قَبْلَ أَنْ تَسِيرَ الْعَرَبَةُ طَوِيلًا ، حَدَثَ أَمْرٌ
فَظِيعٌ !

كَانَتْ السَّعَادَةُ تَغْمُرُهُمْ وَهُمْ يَنْطَلِقُونَ فَوْقَ الْمَرْجِ . فَجَاءَتْ سَمِعُوا
صَوْتًا غَرِيبًا صَاحِبًا . لَقَدْ مَرَّتْ بِحِذَائِهِمْ سَيَّارَةٌ تَسِيرُ بِسُرْعَةٍ خَاطِفَةٍ ،
فَانْثَارَتْ سَحَابَةً مِنَ الْغُبَارِ وَاخْتَفَتْ .

أَجْفَلَ الْحِصَانُ الْمِسْكِينَ ، وَانْقَلَبَتِ الْعَرَبَةُ وَوَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ ،
فَتَحَطَّمَتْ نَوَافِذُهَا وَانْخَلَعَ أَحَدُ دَوَالِيهَا .



٢ الطَّرِيقُ الْعَامُّ

فِي الْيَوْمِ الثَّانِي اصْطَحَبَ جُرَّدُ الْمَاءِ صَدِيقَهُ الْخُلْدَ لِزِيَارَةِ ضَفْدُوعِ
الَّذِي كَانَ يَعِيشُ فِي مَنْزِلٍ قَدِيمٍ لَطِيفٍ قَائِمٍ عَلَى ثَلَاثَةِ اسْمُهَا ثَلَاثَةُ
الضَّفَادِعِ . وَكَانَ الْمَنْزِلُ مَبْنِيًّا مِنَ الْقَرْمِيدِ الْأَحْمَرِ يَصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
ضَفَّةِ النَّهْرِ سَفْحٌ تَغْطِيهِ الْأَعْشَابُ .

كَانَ ضَفْدُوعٌ ثَرِيًّا لَكِنَّهُ كَانَ قَلِيلَ الْإِدْرَاكِ . وَكَانَ عَلَى جُرَّدِ الْمَاءِ
وَالْغُرَيْرِ أَنْ يُرَاقِبَا دَائِمًا تَصَرُّفَاتِهِ . وَكَانَ طَيِّبَ الْقَلْبِ ، لَكِنْ يُحِبُّ
الْمَظَاهِيرَ ، فَيُوقِعُهُ ذَلِكَ دَائِمًا بِالْمَتَاعِ .

وَجَدَهُ الزَّائِرَانِ جَالِسًا فِي الْحَدِيقَةِ يَتَأَمَّلُ خَرِيطَةَ طُرُقٍ . فَقَدْ كَانَ
اشْتَرَى عَرَبَةً ، وَطَلَاها بِاللُّونِ الْأَصْفَرِ وَطَلَا دَوَالِيهَا بِاللُّونِ الْأَخْضَرِ ،

إِشْتَعَلَ جُرْذُ الْمَاءِ وَالْخُلْدُ غَضَبًا وَصَاحَا وَهْمَا يَرْفَعَانِ قَبْضَتَيْهِمَا مُهَدِّدَيْنِ : « يَا لَهُ مِنْ سَائِقٍ أَرْعَنَ ! » أَمَّا ضَفْدُوعٌ فَقَدْ جَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ زَائِعَ الْعَيْنَيْنِ ، دُونَ أَنْ يَبْدُو عَلَيْهِ أَنَّهُ انْزَعَجَ لِتَحْطُمِ الْعَرَبَةُ لَقَدْ كَانَ يُفَكِّرُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِشِرَاءِ سَيَّارَةٍ وَقِيَادَتِهَا !

فِي الْيَوْمِ التَّالِي ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْ حَدِيثٍ عِنْدَ ضَفَّةِ النَّهْرِ غَيْرَ حِكَايَةِ الْعَرَبَةِ الْمُحْطَمَةِ .

« أَسَمِعْتَ آخِرَ الْأَخْبَارِ ؟ لَقَدْ تَوَجَّهَ ضَفْدُوعٌ إِلَى الْمَدِينَةِ هَذَا الصَّبَاحَ . أَتَدْرِي مَاذَا سَيَفْعَلُ ؟ سَيَشْتَرِي سَيَّارَةً كَبِيرَةً غَالِيَةَ الثَّمَنِ ! »

٣ الغابة

إِنْتَهَى أَخِيرًا الصَّيْفُ الطَّوِيلُ الْحَارُّ ، وَحَلَّ الشِّتَاءُ . وَكَانَ الْخُلْدُ لَا يَزَالُ يَعِيشُ فِي بَيْتِ صَدِيقِهِ جُرْذِ الْمَاءِ عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ .

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ الْبَارِدَةِ قَرَّرَ الْخُلْدُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَابَةِ لِزِيَارَةِ الْغُرَيْرِ . كَانَ قَدْ وَطَّدَ مَعْرِفَتَهُ بِسَائِرِ أَصْدِقَاءِ جُرْذِ الْمَاءِ ، إِلَّا الْغُرَيْرَ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ عَرَفَهُ مَعْرِفَةً وَثِيقَةً . وَفِي الشِّتَاءِ تُقِيمُ كَثْرَةُ الْحَيَوَانَاتِ فِي بُيُوتِهَا وَتَسْتَرِيحُ بَعْدَ صَيْفٍ نَاشِطٍ . بَعْضُهَا يَنَامُ أَكْثَرَ الْوَقْتِ وَلَا مَجَالَ لِإِقْنَاعِهِ بِالْقِيَامِ بِأَيِّ نَشَاطٍ .

لِذَا كَانَ الْخُلْدُ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرَى الْغُرَيْرَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَزُورَهُ فِي بَيْتِهِ . تَسَلَّلَ مِنْ بَيْتِ جُرْذِ الْمَاءِ الدَّافِي إِلَى الْهَوَاءِ الطَّلَقِ . وَكَانَ الرَّيْفُ أَجْرَدَ بَارِدًا ، وَالْغُصْنَاتُ الْيَابِسَةُ تَتَكَسَّرُ تَحْتَ قَدَمِي الْخُلْدِ . وَكَانَتْ الْأَشْجَارُ عَارِيَةً مِنَ الْأَوْرَاقِ وَذَاتَ أَشْكَالٍ غَرِيبَةٍ مُوَحِّشَةٍ . وَرَاحَ الظَّلَامُ يَهْبِطُ بِسُرْعَةٍ فَاحَسَّ الْخُلْدُ بِالذُّعْرِ .



زَادَ فِي خَوْفِهِ وَجْوهُ تُطِلُّ مِنْ تَجَاوِيفِ الْأَشْجَارِ ، فَتَرَاءَى لَهُ وَجُوهًا شَيْطَانِيَّةً تَسْكُنُ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْغَابَةِ .

ثُمَّ أَخَذَ الْخُلْدُ يَسْمَعُ أَصْوَاتَ صَفِيرِ حَادَّةٍ. يَسْمَعُهَا مِنْ أَمَامِهِ
وَمِنْ وَرَائِهِ. وَكَانَ وَحِيدًا لَا أَمَلَ بِسَجْدَةٍ تَأْتِيهِ وَسَطَ الضَّبَاعِ وَالظَّلَامِ.
ثُمَّ أَحَسَّ بِوَقْعِ خُطَوَاتِ حَوْلِهِ. أَحَسَّ بِأَقْدَامِ صَغِيرَةٍ تُلَاحِقُهُ،
تُخَشِّشُ فَوْقَ أَوْراقِ الأشجارِ السَّاقِطَةِ. فَرَّاحَ يَجْرِي مَذْعُورًا
وَيَضْطَدِّمُ بِالأشجارِ هُنَا وَهُنَاكَ.

فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ اكْتَشَفَ جُرْدُ الْمَاءِ أَنَّ الْخُلْدَ لَيْسَ فِي الْبَيْتِ. وَرَأَى
آثَارَ أَقْدَامِهِ تَتَجَهُّ نَاحِيَةَ الْغَابَةِ. فَأَمْسَكَ عَصًا وَأَسْرَعَ وَرَاءَهُ. وَأَخِيرًا
وَجَدَهُ لَاثِدًا بِشَجَرَةٍ زَانٍ يَرْتَعِشُ خَوْفًا.

ثُمَّ رَاحَتِ الثَّلُوجُ تَسَاقُطُ بِكثَافَةٍ. وَسُرْعَانَ مَا غَطَّى الثَّلَجُ
الْأَرْضَ بِبِساطٍ أَيْضَ، وَاخْتَفَتِ الْمَمَرَّاتُ وَعَلَامَاتُ الْغَابَةِ.



وَجَدَ جُرْدُ الْمَاءِ وَالْخُلْدُ صُعُوبَةً بِالِغَةِ فِي شَقِّ طَرِيقَهُمَا فِي الْغَابَةِ.
وَوَقَعَ الْخُلْدُ عَلَى جِسْمِ صُلْبٍ فَجَرَحَ سَاقَهُ. كَانَ ذَلِكَ الْجِسْمُ
مِكْشَطَةً لِنَتْنِيفِ الْأَحْذِيَةِ عِنْدَ الْأَبْوَابِ.

قَالَ جُرْدُ الْمَاءِ بِشْيءٍ مِنَ الْأَمَلِ: «حَيْثُ تَكُونُ الْمِكْشَطَةُ يَكُونُ
بَابٌ!» وَسُرْعَانَ مَا وَجَدَا بَابًا سَمِيكًا، وَفَوْقَ الْبَابِ جَرَسٌ عَتِيقٌ
الطَّرَازِ وَلَوْحَةٌ نُحَاسِيَّةٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: «مَنْزِلُ غَرْغُور».

رَنَّ جُرْدُ الْمَاءِ الْجَرَسَ الْعَتِيقَ الطَّرَازِ. وَبَعْدَ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْتِظَارِ فَتَحَ
الْغُرَيْرُ الْبَابَ، وَقَدْ بَدَأَ مُتَضَايِقًا مِنْ تِلْكَ الزِّيَارَةِ اللَّيْلِيَةِ غَيْرِ الْمُنْتَظَرَةِ.
لَكِنَّهُ سُرْعَانَ مَا ابْتَسَمَ وَرَحَّبَ بِالزَّائِرَيْنِ.



٤ ما أحلى الرجوع إليه !

اقْتَرَبَ الشَّتَاءُ مِنْ مُتَنَصِّفِهِ . وَخَرَجَ الْخُلْدُ وَجُرَذُ الْمَاءِ يَسْتَكْشِفَانِ
بَعْضَ مَنَاطِقِ الرَّيفِ . وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ هَبَطَ عِنْدَمَا وَصَلَا إِلَى إِحْدَى
الْقُرَى . وَرَأَى أَضْوَاءَ الْقَنَادِيلِ تُشِعُّ مِنْ نَوَافِدِ الْبُيُوتِ . وَعَبَّرَ تِلْكَ
النَّوَادِي رَأْيَا أَطْفَالًا يَنَامُونَ نَوْمًا هَادِنًا فِي أَسْرَتِهِمْ . وَرِجَالًا يَقْرَأُونَ .
وَسَاءَ يَحِطُّنَ الثِّيَابَ . وَرَأَى طَائِرًا مُتَعَبًا فِي قَفْصٍ . أَحْسَا بِالْوَحْشَةِ
وَالْبَرْدِ وَالتَّعَبِ ، وَأَنْهُمَا بَعِيدَانِ جِدًّا عَنِ الْبَيْتِ .

تَانَعَ جُرَذُ الْمَاءِ وَالْخُلْدُ سَيْرَهُمَا عَبْرَ الْحُقُولِ . وَكَانَ خَلُودُ يَسِيرٍ بَطِيئًا
وَقَدْ مَالَ بِخَطْمِهِ نَاحِيَةَ الْأَرْضِ . اشْتَمَ فَحَاةً رَائِحَةً اسْتَوْقَفَتْهُ .
وَأَحْسَسَ بِرِغْشَةٍ تَدْبُ فِي جَسَدِهِ . لَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ رَائِحَةَ بَيْتِهِ الَّذِي
مَحَرَّهُ مِنْذُ أَوَّلِ الرَّبِيعِ .

فِي غَمْرَةِ حَيَاتِهِ الْحَدِيدَةِ كَانَ قَدْ نَسِيَ بَيْتَهُ الصَّغِيرَ . أَمَّا الْآنَ فَقَدْ
وَدَّ شَوْقُهُ إِلَيْهِ قَوِيًّا طَائِعِيًّا . فَنَادَى صَدِيقَهُ طَالِبًا مِنْهُ التَّوَقُّفَ .



أَعَدَّ الْغُرَيْرُ لِزَائِرَيْهِ عَشَاءً سَاحِحًا لَذِيذًا وَجَلَسُوا ثَلَاثَتُهُمْ إِلَى
جَانِبِ الدَّارِ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ ضَفْدُوعٍ وَهَوَسِهِ الْحَدِيدِ بِالسَّيَّارَاتِ وَقَدْ
رَأَى غَرْعُورٌ أَنَّ عَلَيْهِمْ ، بَعْدَ انْتِهَاءِ الشَّتَاءِ ، أَنْ يَفْعَلُوا شَيْئًا يَرُدُّ
الضَّفْدَعَ الْمَغْرُورَ الْمَهْوُوسَ إِلَى صَوَابِهِ .

فِي صَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي تَدَاوَلَ ثَلَاثَتُهُمْ فُطُورًا شَهِيًّا . وَشَارَكَهُمْ
طَعَامَهُمْ قُنْعَدَانِ ضَلَا الطَّرِيقَ ذَلِكَ الصَّبَاحَ . وَقَدْ قَامَ غَرْعُورٌ بَعْدَ
الطَّعَامِ فَقَادَ ضَيْفِيهِ مِنْ بَابِ وَجَارِهِ الْخَلْفِيِّ عَبْرَ مَحْمُوعَةٍ مِنَ
الْأَنْفَاقِ أَوْصَلَتْهُمَا إِلَى طَرَفِ الْغَابَةِ .

الْتَفَتَ جُرَذُ الْمَاءِ وَالْخُلْدُ إِلَى الْوَرَاءِ فَبَدَتْ لَهُمَا الْغَابَةُ قَاتِمَةً
مُخِيفَةً . فَاسْرَعَا نَاحِيَةَ الْبَيْتِ الْأَمِنِ الدَّافِي عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ .

لَكِنَّ جُرْدَ الْمَاءِ لَمْ يَسْمَعْ نِدَاءَ صَدِيقِهِ ، وَصَاحَ : «أَسْرِعْ يَا صَدِيقِي الْعَجُوزَ ! لَا يَزَالُ أَمَامَنَا طَرِيقٌ طَوِيلٌ» .

وَقَفَ الْخُلْدُ الْمَسْكِينُ وَحِيدًا حَائِرًا فِي الطَّرِيقِ . كَانَتْ رَائِحَةُ الْبَيْتِ تَدْعُوهُ إِلَيْهَا ، لَكِنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَتَخَيَّرَ عَنْ صَدِيقِهِ . ثُمَّ أَخَذَ يَجْرُ نَفْسَهُ بِطُءٍ . وَلَا حَظَّ جُرْدُ الْمَاءِ أَنْ صَدِيقَهُ يُحَرِّجُ نَفْسَهُ . ثُمَّ سَمِعَهُ يَنْشِجُ بِكَاءٍ مَكْتُومٍ .

أَسْرَعَ جُرِيدٌ إِلَى صَدِيقِهِ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِهِ وَفِي عَيْنَيْهِ نِظْرَةٌ تَسْأُولُ . قَالَ الْخُلْدُ وَهُوَ لَا يَزَالُ يَنْشِجُ : «أَعْرِفُ أَنَّ بَيْتِي صَغِيرٌ بَسِيطٌ ، لَيْسَ كَبَيْتِكَ اللَّطِيفِ . وَلَا كَمَنْزِلِ ضَفْدُوعِ الْوَاسِعِ . لَكِنَّهُ بَيْتِي ، وَأَنَا فَخُورٌ بِهِ» .

رَبَّتْ جُرِيدٌ عَلَى كَتِفِ صَدِيقِهِ ، وَقَالَ : «لَقَدْ كُنْتُ قَصِيرَ النَّظَرِ فَلَمْ أَفْهَمْ مَشَاعِرَكَ يَا صَدِيقِي» . ثُمَّ اسْتَدَارَا لِتَتَّبِعَ رَائِحَةُ الْبَيْتِ . وَجَدَ الْخُلْدُ بَعْضَ الْمَشَقَّةِ فِي الْوُصُولِ إِلَى بَيْتِهِ ، لَكِنَّهُ أَخِيرًا عَثَرَ عَلَى نَفَقٍ فَاسْرَعَ يَتَزَلُّ فِيهِ . وَكَانَ فِي أَسْفَلِ النَّفَقِ بَابٌ كُتِبَ عَلَيْهِ «مَنْزِلُ خُلُودٍ» . أَضَاءَ الْخُلْدُ مِصْبَاحًا فَانْكَشَفَتْ غُرْفَةٌ صَغِيرَةٌ لَطِيفَةٌ فِيهَا مَقْعَدٌ خَشَبِيٌّ وَسِلَالٌ مُعْتَقَةٌ وَسَاعَةٌ عَتِيقَةٌ وَكَانَ فِي الْبَيْتِ أَيْضًا حَوْضٌ لِلْأَسْهَالِ الذَّهَبِيَّةِ مُطْعَمٌ بِالْأَصْدَافِ .



كَانَ الْبَيْتُ مَعْطًى بِالْعِبَارِ وَغَيْرِ مُرْتَبٍ فَعَادَ الْخُلْدُ يَنْشِجُ بِكَاءٍ مَكْتُومٍ . وَقَدْ أَحْسَنَ بِالْخَجَلِ مِنْ جَلْبِ صَدِيقِهِ إِلَى بَيْتِهِ غَيْرِ النَّظِيفِ . مِمَّا مُرَّتَبٍ . لَكِنَّ جُرْدَ الْمَاءِ رَاحَ يَرْكُضُ فِي غُرْفِ الْمَنْزِلِ وَيَفْتَحُ الْحِرَانَاتِ مُسْتَكْشِفًا مَنْزِلَ صَدِيقِهِ . ثُمَّ أَشْعَلَ نَارًا . فَعَادَ الْهُدُوءُ وَالْأَطْمِئْنَانُ إِلَى الْخُلْدِ وَأَمْسَكَ مِيفِضَةً غُبَارٍ وَرَاحَ يَعْمَلُ بِسُرْعَةٍ .

صَاحَ جُرِيدٌ بِإِنْشِرَاحٍ : «يَا لَهُ مِنْ مَنْزِلٍ صَعِيرٍ لَطِيفٍ ! لَقَدْ أَحْسَنْتَ تَنْظِيمَهُ وَاسْتِغْلَالَهُ يَا صَدِيقِي !»

ثُمَّ تَذَكَّرَ الْخُلْدُ شَيْئًا . فَمَلَأَتِ الدُّمُوعُ عَيْنَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ : «وَلَكِنَّ»

لَسَ عِنْدِي عِشَاءٌ أَقْدَمُهُ لَكَ !»

قال خرد الماء: «كفى قلقاً! إني أرى فتاحة سردين، فلا بُدَّ أنَّ
عندك معلبات». وقدَّ وجداً علبَ سردين وبعضَ البسكويتِ
الجافِّ، فجلسا يستعدانِ لتناولِ عشاءيهما. فجأةً سمعا ضجيجاً
يقتربُ من المدخلِ.

سأل جرَّيد: «ما هذا؟»

أجاب خلود: «لا بُدَّ أنَّها فئرانُ الحقلِ. فهي أحياناً تزورني في
مثلِ هذا الوقتِ من العامِ، فنغني معاً ونسلي أنفسنا في وحشةِ الشتاءِ.»



حملَ جرَّيد شَمْعَةً وفتحَ خلود البابَ، فإذا أمامهما تسعةُ فئرانٍ
حملِ تقفُ على شكلِ بصفِ دائرةٍ.
كانتِ الفئرانُ تلفُ حوْلَ أعناقِها شالاتِ حمراءَ، وتنبطُ لتدْفِي
نفسها صاحَ أكبرِ الفئرانِ: «واحدٌ، اثنانِ، ثلاثةُ!» فانطلقتِ
الفئرانُ جميعاً تُغني بصوتٍ باعِمٍ لطيفٍ:

أهلاً، أهلاً، يا خلود!
يا حوَّالاً في البُلدانِ
مَنْ يَهْجُرُ بَيْتاً سَوْفَ يَعُودُ
فَالَيْتُ عَرِيرُ كَالأوطانِ



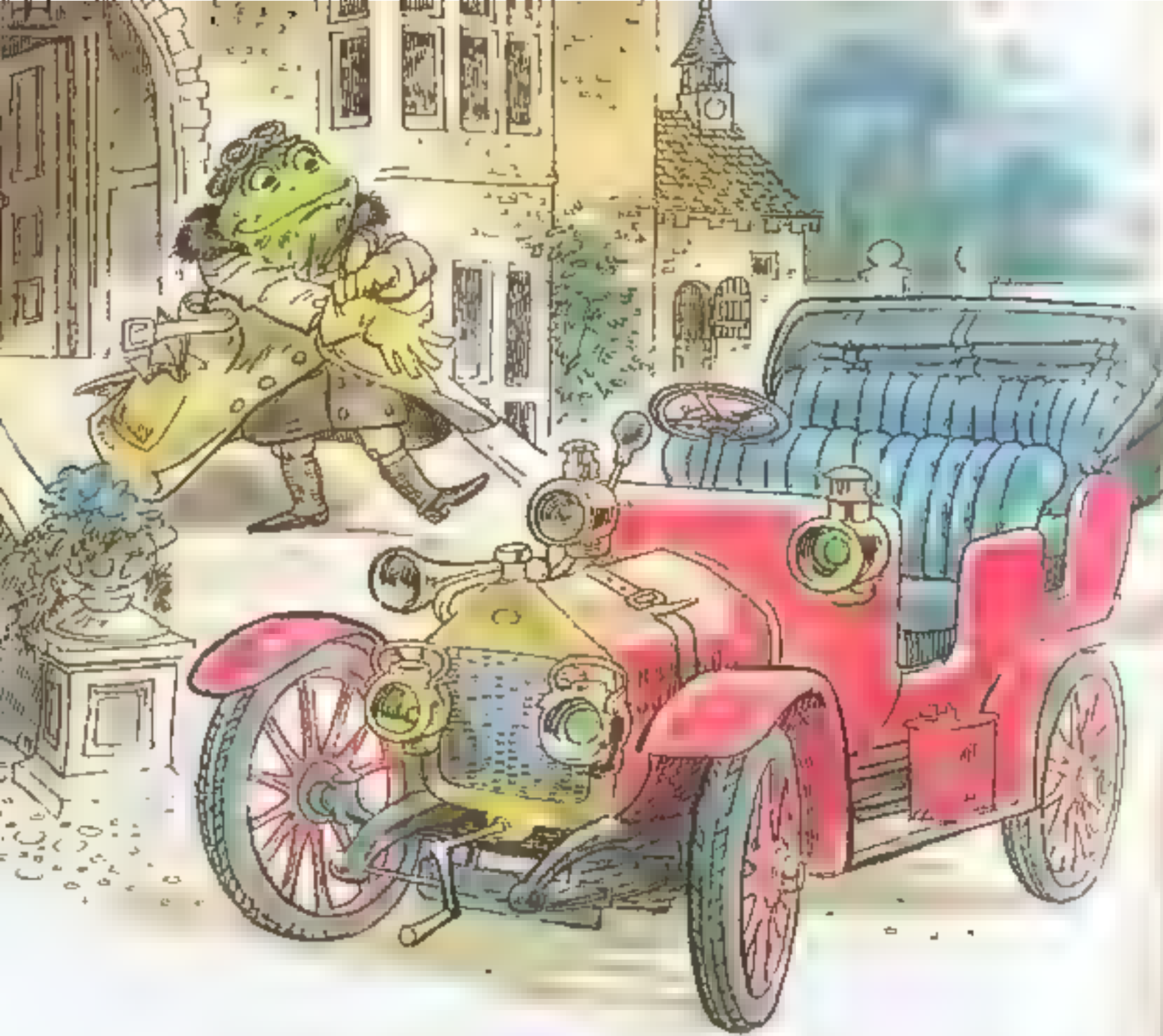
رَحَّبَ خَلُودَ وَجُرَيْدَ بِالْفِئْرَانِ الْمُغْنِيَةِ . وَحَمَلَ جُرَيْدُ أَحَدَ الْفِئْرَانِ
سَلَّةً وَأَعْطَاهُ نَقُودًا وَأَرْسَنَهُ لِشِرَاءِ طَعَامٍ وَهَدَايَا . وَجَلَسَ الْجَمِيعُ حَوْلَ
النَّارِ يَسْتَدْفِقُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ . وَعِنْدَمَا عَادَ فَاؤُ الْحَقْلِ يَحْمِلُ الْوَانَ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، جَلَسُوا جَمِيعًا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ .

أَخِيرًا عَادَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى بَيْتِهِ يَحْمِلُ هَدِيَّةً إِلَى أُسْرَتِهِ . وَانْدَسَّ
الْخُلْدُ وَحُرِّدَ الْمَاءُ فِي سَرِيرِهِمَا . انْتَمَتَ الْخُلْدُ حَوْلَهُ يَتَأَمَّلُ بَيْتَهُ الَّذِي
كَانَ يُضِيئُهُ لَهَبُ الْمِدْفَاقِ ، وَأَحْسَّ بِسَعَادَةٍ غَامِرَةٍ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :
« مَا أَحْلَى الرُّجُوعَ إِلَى الْبَيْتِ ! كُلُّ مَخْلُوقٍ يَحْتَاجُ إِلَى بَيْتٍ يَكُونُ لَهُ
وَحْدَهُ وَيَلْجَأُ إِلَيْهِ . »

٥ السِّدُّ ضَفْدُوعٌ

فِي يَوْمٍ مُشْرِقٍ مِنْ أَيَّامِ أَوَائِلِ الصَّيْفِ جَاءَ الْغُرَيْرُ يَزُورُ صَدِيقَهُ
جُرْدَ الْمَاءِ وَالْخُلْدَ .

قَالَ الْغُرَيْرُ : « عَيْنًا أَنْ نَعَالِجَ أَمْرَ ضَفْدُوعٍ ، فَإِنْ تَصَرَّفَاتِهِ تُخْرِجُنَا
حَمِيمًا . أَوَهُ كَانَ صَدِيقِي ، وَلَا أَحِبُّ أَنْ أَتَخَيَّلَ حَيَاةَ الْأَمَلِ الَّتِي
كَانَتْ سَتُصِيبُ الْأَبَ لَوْ رَأَى تَصَرُّفَاتِ ابْنِهِ . إِنَّ هَؤُسَ ضَفْدُوعٍ
بِالسَّيَّارَاتِ قَدْ حَلَقَ لَهُ مَتَاعِبَ مَعَ رِجَالِ الشُّرْطَةِ . »



هَرَجَرَيْدُ رَأْسَهُ مُوَافِقًا وَهُوَ يَقُولُ « نَعَمْ ، لَقَدْ تَسَبَّبَ فِي وَقُوعِ
هَذِهِ السَّيْرِ كَثِيرَةٍ . وَسَمِعْتُ أَنَّهُ اشْتَرَى هَذَا الْأُسْبُوعَ سَيَّارَةً
جَدِيدَةً . »

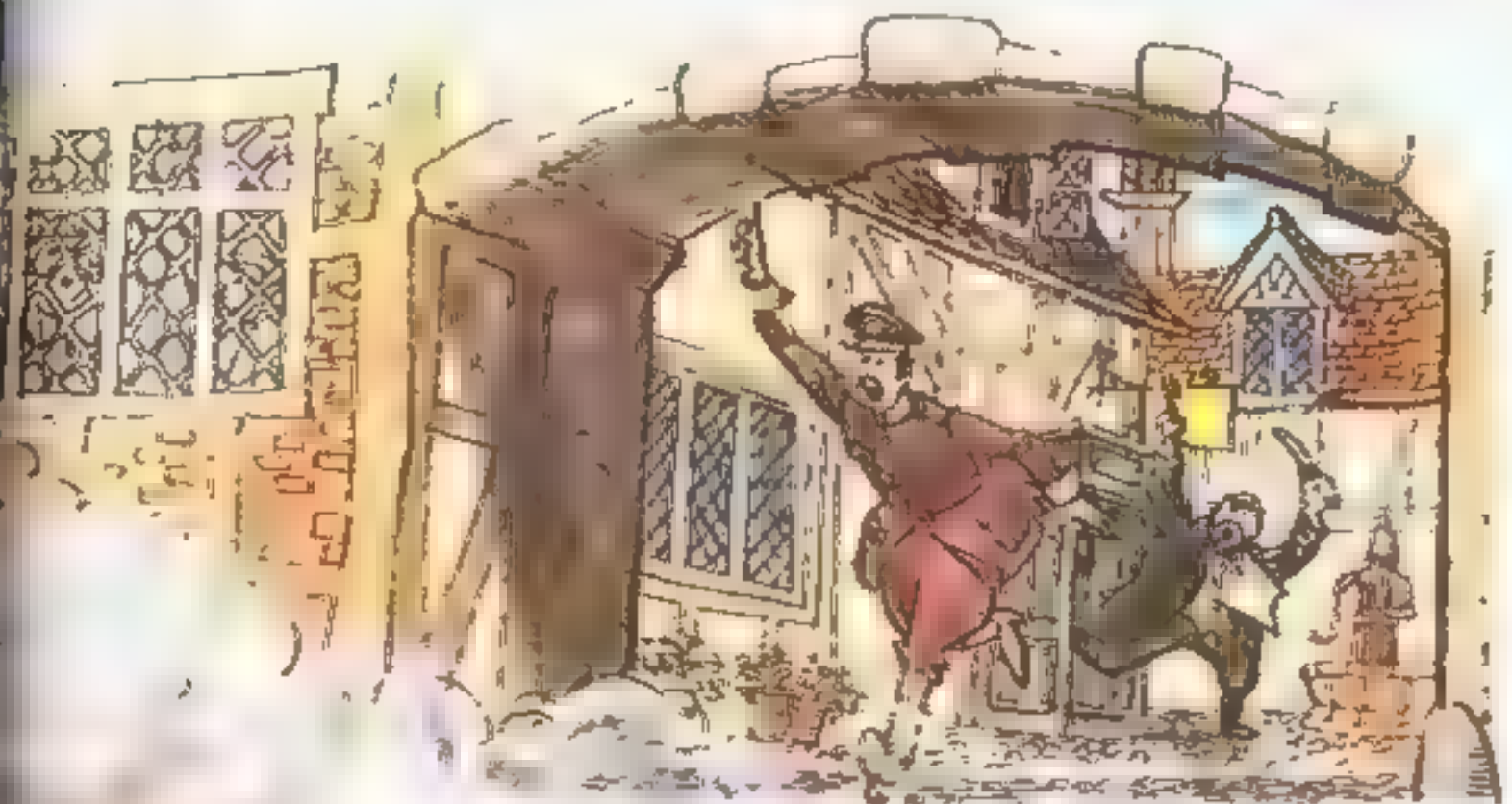
اتَّجَهُوا ثَلَاثَتُهُمْ إِلَى مَنَزْلِ ضَفْدُوعٍ . وَوَجَدُوا أَمَامَ الْمَنَزْلِ سَيَّارَةً
جَدِيدَةً حَمْرَاءَ بَرَّاقَةٍ . وَرَأَوْا صَدِيقَهُمُ الضَّفْدُوعَ يَخْرُجُ مِنْ مَنَزْلِهِ وَقَدْ
فُصَّازَيْنِ وَمِعْطَفًا وَاسِعًا وَوَضَعَ فَوْقَ رَأْسِهِ قُبْعَةً وَنَظَّارَتَيْنِ ، وَدَرَّاجَ
مُشِيِّ مَتَّيلاً مُخْتَلَاً .

صاحَ ضَفْدُوعٌ بِأَنْشِرَاحٍ : « وَصَّيْتُمْ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ ! سَوْفَ تَرَوْنَ كَيْفَ أَطِيرُ بِهَذِهِ السَّيَّارَةِ الرَّائِعَةِ . »

رَدَّ عَرَّغُورٌ بِغَضَبٍ : « لَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ! » ثُمَّ أَمْسَكَ مِنْ عُنُقِهِ وَجَرَّهُ إِلَى الْبَيْتِ ، يُسَاعِدُهُ فِي ذَلِكَ حُرَيْذٌ وَخَلُودٌ . وَأَبَاهُ عَرَّغُورٌ عَلَى تَصَرُّفَاتِهِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُقْلِعَ عَنْ قِيَادَةِ السَّيَّارَةِ بِتَهَوُّرٍ .



رَفَضَ ضَفْدُوعٌ أَنْ يَبْعَدَ بِالْإِقْلَاعِ عَنْ قِيَادَةِ السَّيَّارَةِ بِتَهَوُّرٍ . فَحَجَزَهُ أَصْدِقَاؤُهُ فِي غُرْفَةِ نَوْمِهِ وَأَقْلَعُوا الْبَابَ وَتَرَكَوهُ يُفَكِّرُ فِي حَالِهِ .



لَكِنَّ الضَّفْدُوعَ الشَّقِيَّ تَظَاهَرَ بِالْمَرَضِ . وَهَبَتْ أَصْحَابُهُ دُعَاوَنَ الطَّيِّبِ . اسْتَغْلَّ ضَفْدُوعٌ غِيَابَ أَصْحَابِهِ فَهَرَبَ مِنَ النَّافِذَةِ بِحِجَةِ الْقَرْيَةِ ضَاحِكًا فَخُورًا بِذِكَايِهِ .

رَأَى فِي سَاحَةِ نَزْلِ الْقَرْيَةِ سَيَّارَةً جَمِيلَةً ، فَلَمْ يَقْوِ عَلَى مُقَاوَمَةِ تَجَرُّبَتِهَا قَفَزَ إِلَيْهَا ، وَأَدَارَهَا وَانْطَلَقَ بِهَا بِسُرْعَةٍ كَثِيرَةٍ مُخَلِّفًا وَرَاءَهُ عَاصِفَةً مِنَ الْغُبَارِ .

رَاحَ وَهُوَ يَنْطَلِقُ بِسُرْعَةٍ ، يُغْنِي أَغْنِيَةً يَتَحَدَّثُ فِيهَا عَنْ ذِكَايِهِ وَبَهَارَتِهِ وَسُرْعَةِ بَدِيهِتِهِ .



راحَ يُتَمِّمُ لِنَفْسِهِ : «أَيْنَ ذَاكَ الضَّفَدَعُ الذَّكِيُّ النَّبِيُّ الَّذِي كَانَ
يَحْتَرِمُهُ أَهْلُ الْبَلَدَةِ كُلُّهُمْ؟ أَنَا لَسْتُ إِلَّا مَحْضُوقًا بِأَيْسَاءِ نَالَ مَا يَسْتَحِقُّهُ
مِنْ قِصَاصٍ!»

رَفَضَ صَفْدُوعُ الطَّعَامَ الَّذِي قَدَّمَتْهُ إِدَارَةُ السَّجْنِ إِلَيْهِ ، وَجَلَسَ
عَلَى سَرِيرِهِ تَعِيسًا حَزِينًا ، وَرَاحَتِ الدُّمُوعُ تَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَيْهِ .



انْتَهَتْ مُغَامَرَةُ صَفْدُوعِ التَّعِيسَةِ فِي قَاعَةِ الْمَحْكَمَةِ . وَقَدِ اتُّهِمَ
بِالْقِيَادَةِ الْمُتَهَوِّرَةِ وَسَرَقَةِ سَيَّارَةٍ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ اتُّهِمَ بِالتَّطَوُّلِ عَلَى
رِجَالِ الشُّرْطَةِ . فَحُكِمَ عَلَيْهِ بِالسَّجْنِ عِشْرِينَ عَامًا .

قُيِّدَتْ يَدَا صَفْدُوعِ الْبَائِسِ ، وَاقْتَادَهُ الْحَرَسُ فِي شَوَارِعِ الْبَلَدَةِ
إِلَى سِجْنِ الْقِنَعَةِ الرَّهِيْبِ . ثُمَّ جَرُّهُ الْحَرَسُ عَبْرَ مَمَرَاتِ الْقَلْعَةِ بَيْنَ
الْكِلَابِ الْمُتَوَحِّشَةِ الَّتِي كَانَتْ تُحَاوِلُ تَحْطِيمَ أَحْزِمَتِهَا لِلْإِنْقِضَاضِ
عَلَيْهِ . ثُمَّ اقْتِيدَ نَزُولًا عَبْرَ دَرَجٍ حَجَرِيٍّ مُلْتَوٍ ، وَأُلْقِيَ فِي زِنْرَانَةٍ
حَجَرِيَّةٍ مُعْتَمَةٍ يَجْلِسُ أَمَامَ بَابِهَا حَارِسٌ .

لَمْ يَكُنْ بِصَفْدُوعِ أَمَلٌ فِي الْهَرَبِ مِنْ ذَلِكَ السَّجْنِ الْمُخِيفِ
وَأَدْرَكَ عِنْدَيْدٍ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَخْلُوقًا أَحْمَقَ غَيًّا .



٦ فرارُ ضَفْدُوع

كَانَتْ ابْنَةُ السَّجَّانِ فَتَاةً رَقِيقَةً لَطِيمَةً تُحِبُّ الْحَيَوَانَاتِ وَتَأْنَسُ بِهَا. فَأَشْفَقَتْ عَلَى ضَفْدُوعٍ. وَحَمَلَتْ إِلَيْهِ طَعَامًا سَاحِبًا وَسَأَلَتْهُ أَنْ يَصِفَ لَهَا مَنْزِلَهُ الْوَاسِعَ. سُرَّعَانَ مَا عَادَتْ إِلَى ضَفْدُوعٍ ثِقَتَهُ بِنَفْسِهِ. وَرَاحَ يَصِفُ لَهَا بِكَثِيرٍ مِنَ الْخِيَلَاءِ وَالتَّاهِي بَيْتَهُ الْوَاسِعَ.

أَحْسَتِ الْفَتَاةُ بِالْإِشْفَاقِ، رُغْمَ خِيَلَاءِ ضَفْدُوعٍ وَتَبَاهِيهِ. آَلَمَهَا أَنْ تَرَى حَيَوَانًا سَاحِبًا. فَفَكَّرَتْ بِخُطَّةٍ تُسَاعِدُهُ فِيهَا عَلَى الْهَرَبِ. وَكَانَتْ الْخُطَّةُ تَقْضِي بِأَنْ يَلْبَسَ ثِيَابَ عَمَّتِهَا.

كَانَتْ عَمَّتُهَا تَأْتِي إِلَى السَّجْنِ مَرَّةً فِي الْأُسْبُوعِ، فَتَأْخُذُ الثِّيَابَ الْمُنْسِخَةَ وَتَغْسِلُهَا. وَكَانَتْ سَمِينَةً قَصِيرَةً مِثْلَ ضَفْدُوعٍ. إِعْتَادَتْ أَنْ تَأْتِيَ وَقَدْ حَمَلَتْ سَلَّةَ ثِيَابٍ. وَوَضَعَتْ عَلَى رَأْسِهَا قُبْعَةً وَاسِعَةً وَلَبِسَتْ ثَوْبًا طَوِيلًا وَلَقَّتْ حَوْلَ عُنُقِهَا شَالًا لَمْ تَرُقِ الْفِكْرَةَ لِضَفْدُوعٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يُحِبَّ أَنْ يَتَنَكَّرَ فِي ثِيَابِ امْرَأَةٍ عَاحُورٍ فَقِيرَةٍ لِكَيْهِ اضْطِرَّ أَخِيرًا إِلَى الْقَبُولِ. وَدَفَعَ لِلْعَاحُورِ بَعْضَ الْمَالِ. ثُمَّ قَيَّدَهَا لِثَلَاثَتِهِمْ بِمُسَاعَدَتِهِ عَلَى الْهَرَبِ.

رَاحَتِ الْفَتَاةُ تَبْتَسِمُ وَهِيَ تَعْقِدُ رِبَاطَ الْقُبْعَةِ حَوْلَ عُنُقِ ضَفْدُوعٍ. لَاحَظَتْ اِرْعَاجَهُ فَقَالَتْ ضَاحِكَةً: «إِنَّكَ فِعْلًا تُشَبِّهُهَا! إِلَى اللَّقَاءِ!»



مَرَّ ضَفْدُوعٌ بِلِحَظَاتٍ حَرَجَةٍ. وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَمَا أَخَذَ الْحَرَسُ بِمَارْحُونَ الضَّفْدُوعِ الَّذِي ظَنُّهُ صَدِيقَتَهُمُ الْغَسَّالَةَ. لَكِنَّ الضَّفْدُوعَ تَخَيَّلَ نَفْسَهُ مُمَثِّلًا بَارِعًا قَدِيرًا عَلَى خِدَاعِ الْجُمْهُورِ فَتَمَالَكَ نَفْسُهُ. وَمَرَّتِ التَّجَرِبَةُ بِسَلَامٍ. وَسُرَّعَانَ مَا كَانَ يَسِيرُ طَلِيقًا فِي الطَّرِيقِ سَعِيدًا بِالْحُرِّيَّةِ وَأَشِعَّةِ الشَّمْسِ.



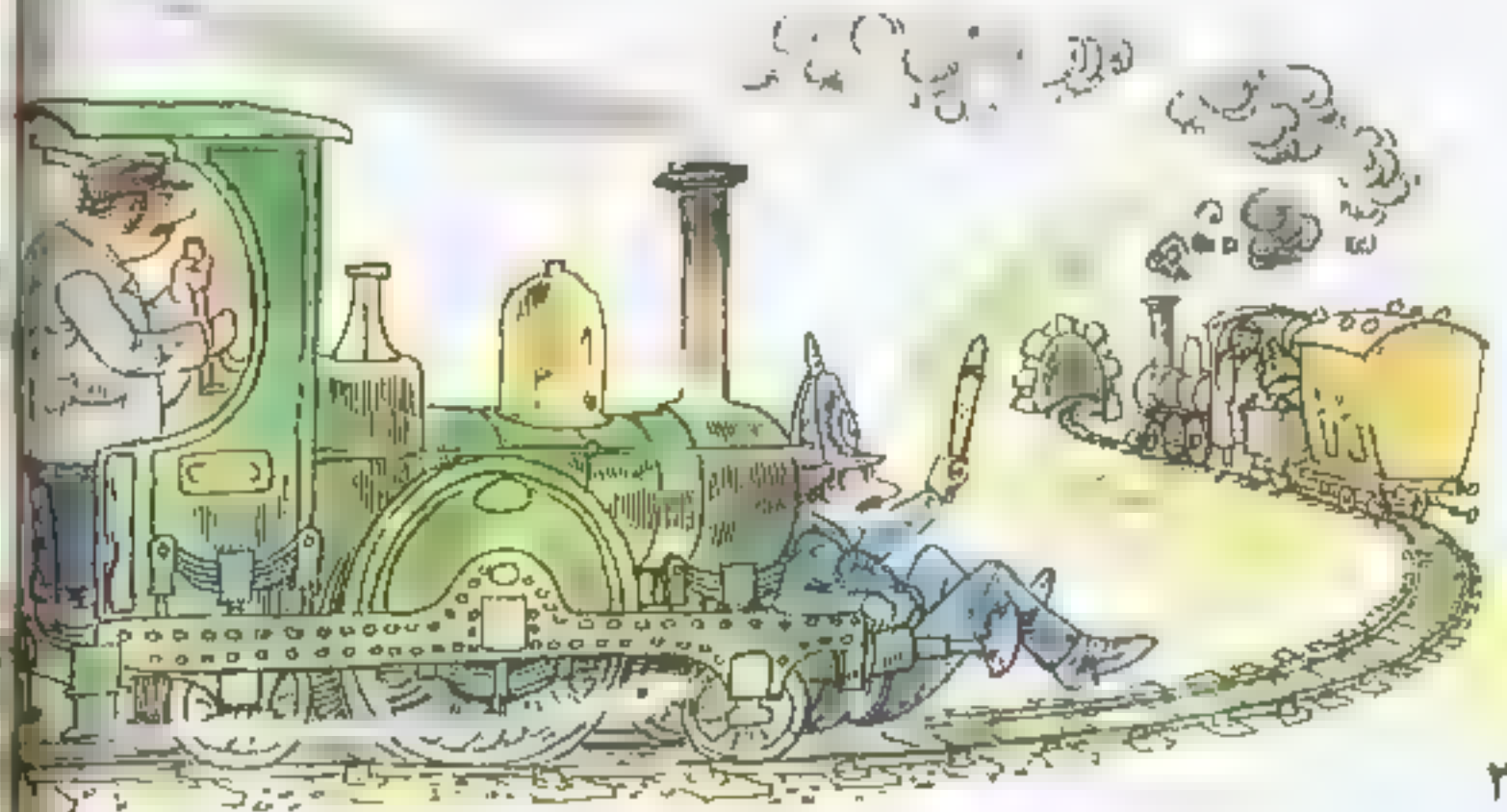
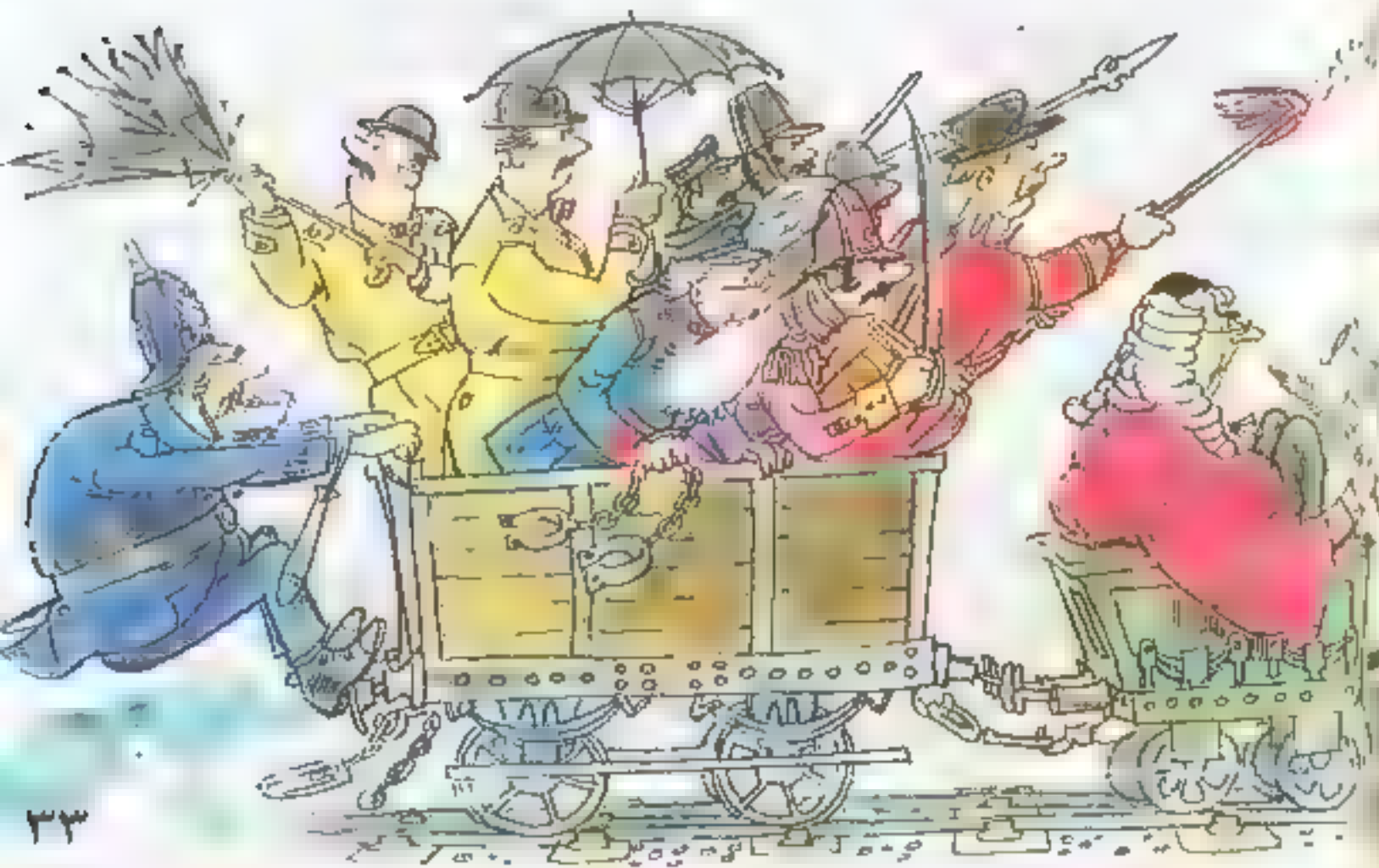
اتَّجَهَ صَوْبَ مَحْطَةِ الْقِطَارِ ، وَكَانَ يَهُمُّ بِشِرَاءِ تَذَكُّرَةٍ عِنْدَمَا تَدَكَّرَ
أَنَّهُ نَسِيَ مَحْفَظَةَ نَقُودِهِ فِي زِنْتَانَةِ السَّحْنِ . مَاذَا يَفْعَلُ الْآنَ ؟ ثُمَّ رَأَى
سَائِقَ الْقِطَارِ يُنْظِفُ الْمُحَرَّكَ بِالْقُطْنِ . فَاتَّحَهُ نَحْوَهُ وَقَالَ ، مُحَاوِلًا
تَقْلِيدَ صَوْتِ عَجُوزٍ :

« يَا سَيِّدِي ، أَنَا غَسَّالَةٌ فَقِيرَةٌ عَجُوزٌ . وَقَدْ أَضَعْتُ مَحْفَظَتِي ،
فَكَيْفَ أَصِلُ إِلَى بَيْتِي وَأَطْفَالِي ؟ »

الْتَفَتَ السَّائِقُ فَجَاءَهُ إِلَى الْوَرَاءِ وَصَاحَ : « إِنَّ قِطَارًا آخَرَ يُطَارِدُنَا .
إِنَّهُ مَمْلُوءٌ بِالنَّاسِ وَرِجَالِ الشُّرْطَةِ وَحَرَسِ السَّجْنِ . وَالْجَمِيعُ يَصْبِحُونَ
طَالِبِينَ مِنِّي أَنْ أَتَوَقَّفَ . »

رَكَعَ ضَفْدُوعٌ أَمَامَ السَّائِقِ وَقَالَ مُتَوَسِّلًا : « أَنَا لَسْتُ غَسَّالَةٌ
عَجُوزًا . إِنِّي الْمُغَامِرُ الْجَرِيءُ الْمَشْهُورُ السَّيِّدُ ضَفْدُوعٌ . أَرْجُوكَ
سَاعِدْنِي ! »

أَحَابَهَا السَّائِقُ الْعَطُوفُ : « أَيُّهَا السَّيِّدَةُ سَأَسْمَحُ لَكَ بِرُكُوبِ
الْقِطَارِ ، وَتَغْسِلِينَ لِي مُقَابِلَ ذَلِكَ بَعْضَ الثِّيَابِ عِنْدَمَا تَصْلِينَ بَيْتَكَ . »
رَضِيَ ضَفْدُوعٌ بِالْأَمْرِ مَسْرُورًا وَقَفَزَ إِلَى عَرَبَةِ السَّائِقِ . ثُمَّ انْطَلَقَ
الْقِطَارُ وَسَطَّ الصَّفِيرِ وَسُحِبَ الدُّخَانُ .



٧ مِزْمَارُ الْجَنِيِّ

كَانَ أَهْلُ حِوَارِ النَّهْرِ ، فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ ، مُضْطَرِّينَ قَلْبَيْنِ . فَقَدْ اخْتَفَى ابْنُ ثَعْلَبَةِ الصَّغِيرِ . لَمْ يَكُنِ الصَّغِيرُ قَدْ غَابَ عَنْ بَيْتِهِ مِنْ قَبْلُ ، فَأَحْدَثَ عِيَابُهُ الْمُفَاجِئُ قَتْلًا ، وَخَرَجَتْ جَمَاعَاتٌ تُفْتَشُ عَنْهُ . وَأَصَابَ الْقَلْقُ أَيْضًا جُرْدَ النَّهْرِ وَالْخُلْدَ . قَالَ جُرَيْدٌ :

«ثَعْلَبَةُ يُرَاقِبُ حَايِبَ النَّهْرِ الضَّحْلَ حَيْثُ عَلِمَ ابْنُهُ السَّيَّاحَةَ . وَهُوَ يَنْظُرُ أَنَّ الصَّغِيرَ سَيَعُودُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمُحِبِّ إِلَيْهِ ، لِيُذَاقَ هُنَاكَ يَنْتَظِرُ طَوَالَ اللَّيْلِ .»

كَانَ الْوَقْتُ فَجْرًا . هَبَّ خَلُودٌ وَقَالَ : «تَعَالَى ، يَا جُرَيْدُ ، لَا اسْتَطِيعُ النَّوْمَ . عَلَيْنَا نَحْنُ أَيْضًا أَنْ نُفْتَشَ عَنْ الصَّغِيرِ »

رَكِبَا زَوْرَقَهُمَا وَرَاحَا يُحَذِّفَانِ سَرِيعًا فِي مَاءِ النَّهْرِ . كَانَتْ الشَّمْسُ قَدْ أَخَذَتْ تُرْسِلُ أَشِعَّتَهَا اللَّطِيفَةَ ، وَالْعَصَافِيرُ قَدْ شَرَعَتْ تُعَرِّدُ . وَكَانَ كُلُّ مَا حَوْلَهُمَا أَخْضَرَ زَاهِيًا يُوحِي بِالْحَيَاةِ وَالنَّشَاطِ .

ابْتَعَدَا فِي مَجْرَى النَّهْرِ إِلَى مَكَانٍ لَمْ يَعْرِفَاهُ مِنْ قَبْلُ ، وَوَصَلَا إِلَى حَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ . ثُمَّ تَوَقَّفَ جُرَيْدٌ عَنِ التَّجْدِيفِ فَجَاءَهُ وَقَالَ :

«إِسْمَعْ ! أَلَا تَسْمَعُ صَوْتَ مُوسِيقَى ؟» لَمْ يَكُنْ خَلُودٌ يَسْمَعُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ . وَكَانَتْ عَيْنَا جُرَيْدٍ تَتَأَلَّقَانِ نَوْرَ غَرِيبٍ ، وَبَدَا كَالْمَسْحُورِ .

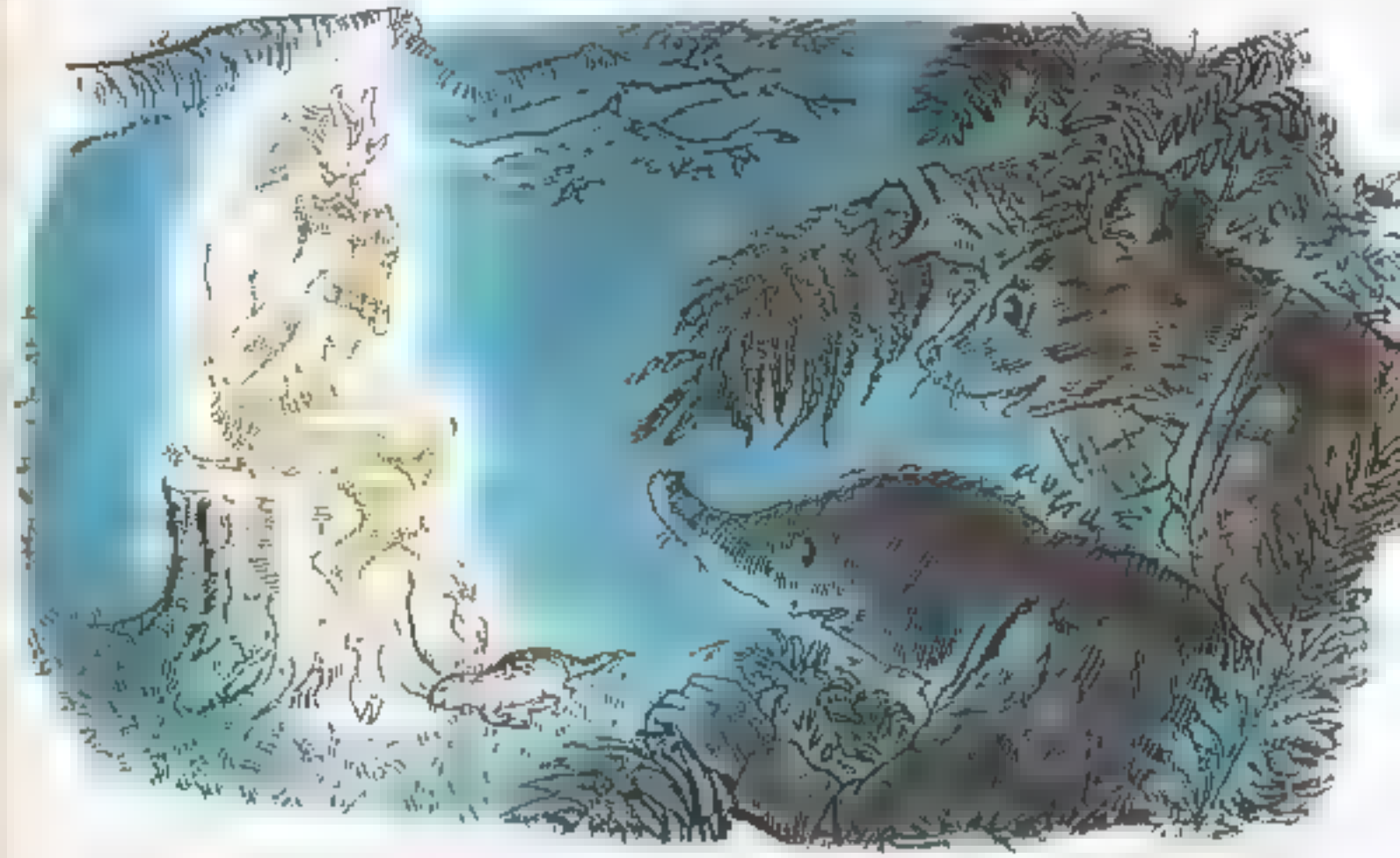
الَّذِي سَاقَى الْقِطَارِ أَنْ يَرَى رِجَالَ الشُّرْطَةِ يُطَارِدُونَ حَيَوَانًا بَائِسًا ، فَقَالَ : «لَا تَخَفْ ، سَأُسَاعِدُكَ .»

دَفَعَ السَّائِقُ إِلَى النَّارِ مَزِيدًا مِنَ الْفَحْمِ فَانْدَفَعَ الْقِطَارُ يَنْهَبُ الْأَرْضَ نَهَبًا . وَسُرْعَانِ مَا دَخَلَ الْقِطَارُ نَقْقًا فَخَفَّفَ السَّائِقُ السَّرْعَةَ . وَقَفَزَ ضَفْدُوعٌ مِنَ الْقِطَارِ ، أَوَّلَ خُرُوجِهِ مِنَ النَّفْقِ . وَرَاحَ يَتَقَلَّبُ بِجِسْمِهِ الْبَدِينِ بَادِلًا جَهْدَهُ فِي الْهَرَبِ . ثُمَّ رَأَى الْقِطَارَ الثَّانِي يَمُرُّ مُسْرِعًا ، وَرَأَى رِجَالَ الشُّرْطَةِ وَحُرَسَ السَّجْنِ يَصِيحُونَ مُلَوِّحِينَ بِأَسْلِحَتِهِمْ طَالِبِينَ مِنْ سَائِقِ الْقِطَارِ الْأَوَّلِ أَنْ يَتَوَقَّفَ ، فَأَغْرَقَ فِي الضَّحِكِ . اتَّجَهَ أَخِيرًا إِلَى شَجَرَةٍ عَتِيقَةٍ فَاسْتَرَاخَ وَنَامَ فِي انْتِظَارِ الصَّاحِ .



اتَّجَهَ الصَّدِيقَانِ بِزَوْرَقَيْهِمَا نَاحِيَةَ ضَفَّةِ النَّهْرِ الْمُعْشَبَةِ . وَهُنَا وَصَلَ
صَوْتُ الْمَوْسِيقَى إِلَى خَلُودٍ أَيْضًا .

كَانَ وَاضِحًا الْآنَ أَنَّ مَا يَأْتِيهِمَا هُوَ صَوْتُ مِزْمَارٍ . وَبَدَأَ كَأَنَّ
الصَّوْتَ يَقُودُهُمَا نَاحِيَةَ فَسْحَةٍ بَيْنَ الْأَشْجَارِ . فَتَّجَّهَا إِلَى هُنَاكَ وَهَما
يُحِسَّانِ أَنَّهَا فِي حَضْرَةِ مَكَانٍ مَسْحُورٍ .



فِي الْفُسْحَةِ شَاهِدًا جَنِّيَّ الْمِزْمَارِ الَّذِي يَحْرُسُ حَيَوَانَاتِ الْغَابَةِ
جَالِسًا عَلَى جَذَعِ شَجَرَةٍ . رَأَى قَرْنِيَهُ وَوَجْهَهُ الْقَوِيَّ الْعَطُوفَ وَصَدْرَهُ
الْأَسْمَرَ وَأَطْرَافَهُ الْعُزْرِيَّةَ . وَرَأَى عِنْدَ قَدَمَيْهِ ابْنَ ثَعْلَبَةِ الصَّغِيرِ يَسْتَلْقِي
رَاضِيًا مُطْمَئِنًّا كَمَا يَسْتَلْقِي الطِّفْلُ الرَّاضِيَ الْمُطْمَئِنُّ .

مَرَّتْ هَذِهِ الصَّوْرَةُ فِي عَيْنِي جُرَيْدٌ وَخَلُودٌ مُرُورًا خَاطِفًا ثُمَّ
اِخْتَفَتْ ، وَاخْتَفَى مَعَهَا صَوْتُ الْمِزْمَارِ . وَمَعَ اخْتِفَاءِ الْجِنِّيِّ وَمِزْمَارِهِ
اسْتَفَاقَ ثَعْلَبُ الْمَاءِ الصَّغِيرُ بِحَشَشٍ بِالْبُكَاءِ وَيَدُورُ فِي الْمَكَانِ مُفْتَشِّيًا
عَنْ صَدِيقِهِ الَّذِي اخْتَفَى .

حَمَلَ حُرَيْدٌ وَخَلُودٌ ثَعْلَبَ الْمَاءِ الصَّغِيرِ إِلَى أَبِيهِ الَّذِي كَانَ لَا يَزَالُ
يَسْطَرُ صَابِرًا عِنْدَ الْحَايِبِ الضَّحْلِ مِنَ النَّهْرِ . وَقَفَا هُنَيْهَةً يُرَاقِبَانِ اللَّقَاءَ
لِسَعِيدَ بَيْنَ الْأَبِ وَابْنِهِ ، ثُمَّ عَادَا إِلَى الْبَيْتِ سَعِيدَيْنِ بِمَا فَعَلَاهُ فِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ .

٨ مِنْ مُغَامَرَاتِ ضَفْدُوعٍ

كَانَ ضَفْدُوعٌ ، الَّذِي كَانَ لَا يَزَالُ مُتَنَكِّرًا فِي ثِيَابِ الْغَسَّالَةِ
الْعَجُوزِ ، يُتَابِعُ سِيرَهُ نَحْوَ مَنْزِلِهِ . وَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ بِمُحَاذَةِ نَهْرٍ مَرَّ جَوَادُ
يَحْرُ مَرَكَبًا نَهْرِيًّا زَاهِي الْأَلْوَانِ . وَكَانَ فِي الْمَرَكَبِ امْرَأَةٌ بَدِينَةٌ تَقِفُ
إِلَى جَانِبِ الدَّفَّةِ .

وَحَدَّ ضَفْدُوعٌ فِي ذَلِكَ فُرْصَةً يَصِلُ فِيهَا إِلَى بَيْتِهِ دُونَ عَنَاءٍ . فَقَصَّ
عَلَى الْمَرْأَةِ حِكَايَةَ الْمَحْفَظَةِ الضَّائِعَةِ وَالْأَطْفَالِ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ أُمَّهُمْ
فِي الْمَنْزِلِ . قَبِلَتِ الْمَرْأَةُ الْبَدِينَةُ أَنَّ تَأْخُذَ الضَّفْدُوعَ الْمُشَكَّرَ فِي رِيٍّ
غَسَّالَةٍ مَعَهَا ، شَرْطًا أَنْ يَقُومَ بِغَسْلِ مَا مَعَهَا مِنْ ثِيَابٍ مُتَسَخِّخَةٍ .

غَضِبَ ضَفْدُوعٌ غَضَبًا شَدِيدًا فَقَفَزَ مِنَ الْمَرْكَبِ ، وَفَكَ حَبْلَ
الْجَوَادِ وَرَكِبَهُ وَانْطَلَقَ بِهِ ، تَارِكًا الْمَرْأَةَ الْبَدِينَةَ تَصْرُخُ وَتَهْزُ قَبْضَتَهَا
مُهْدَدَةً مُتَوَعِّدَةً .

انْطَلَقَ ضَفْدُوعٌ بِالْجَوَادِ ، مُعْجَبًا بِجُرْأَتِهِ وَدَكَائِهِ وَسُرْعَةِ نَدِيهِتِهِ .
أَحْسَنَ فِي تِلْكَ الْأَثَاءِ بِالْجُوعِ ، وَجَاعَتُهُ رَائِحَةً طَيِّبَةً زَادَتْ فِي جُوعِهِ .
لَفَتَ حَوَالِيَهُ فَرَأَى غَحْرِيًّا يَشْوِي أَرْنبًا وَأَسْرَعَ ضَفْدُوعٌ يُبَادِلُ الْغَجَرِيَّ
طَعَامَهُ بِالْجَوَادِ الَّذِي كَانَ يَرْكَبُهُ . وَعَادَ إِلَيْهِ بَعْدَ كُلِّ ذَلِكَ خِيَلَاوُهُ
وَادْعَاوُهُ ، فَرَأَى يَنْظِمُ قَصِيدَةً يَمْتَدِّحُ بِهَا نَفْسَهُ . قَالَ :

فِي الدُّنْيَا أَبْطَالُ شُجْعَانُ ،
لَكِنِّي الْأَعْظَمُ وَالْأَشْجَعُ .
مَنْ مِنْهُمْ يَهْزَأُ بِالسَّجَّانِ ؟
حَدَّثَ عَنِّي فَأَنَا الضَّفْدَعُ !

ثُمَّ سَمِعَ ضَجِيحًا مَأْلُوفًا .



أَعْطَتْهُ الْمَرْأَةُ الْبَدِينَةُ كَوْمَةً كَثِيرَةً مِنَ الثِّيَابِ ، وَبَعْضَ الصَّابُونِ وَدَلُّوا
كَبِيرًا مِنَ الْمَاءِ النَّظِيفِ . لَمْ يَكُنْ ضَفْدُوعٌ يَعْرِفُ كَيْفَ يَتَدَأُ ، فَرَأَى
يُخَبِّطُ وَيَعْرُكُ وَيَعْرُكُ ، وَلَكِنَّ الثِّيَابَ ظَلَّتْ عَلَى اتِّسَاحِهَا .

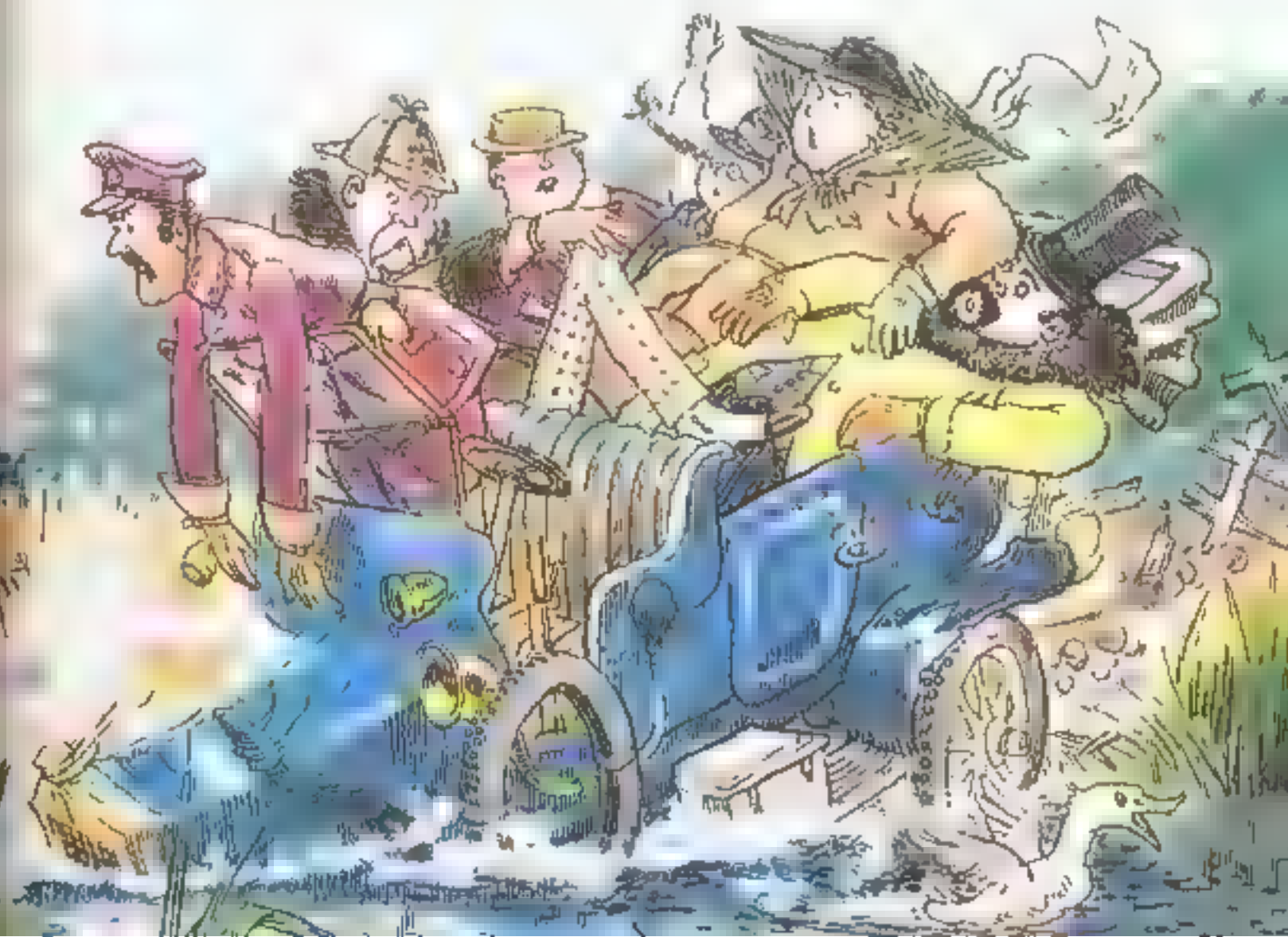
اقْتَرَبَتْ مِنْهُ الْمَرْأَةُ الْبَدِينَةُ وَتَأَمَّلَتْ عَمَلَهُ ، ثُمَّ صَاحَتْ بِصَوْتٍ
عَاضِبٍ : « أَنْتَ لَسْتَ غَسَّالَةً ! مَا أَنْتَ إِلَّا صِفْدَعٌ قَدِرُ كَرِيهٍ -
أَخْرِجْ مِنْ مَرْكَبِي النَّظِيفِ اللَّطِيفِ ! »



لَقَدْ كَانَتْ السَّيَّارَةُ نَفْسُهَا الَّتِي سَرَقَهَا ضَفْدُوعٌ وَسُحْنٌ لِأَجْلِهَا
تَنْطَلِقُ عَلَى الطَّرِيقِ الْعَامِّ.

تَظَاهَرَ ضَفْدُوعٌ بِالْإِعْمَاءِ، فَتَوَقَّفَتِ السَّيَّارَةُ، وَاسْرَعَ الرُّكَّابُ
فَحَمَلُوا الضَّفْدَعَ الَّذِي ظَنُّوهُ غَسَّالَةً عَجُوزًا وَوَضَعُوهُ فِي السَّيَّارَةِ رِثْمًا
يَعُودُ إِلَى وَغِيهِ. لَكِنْ سُرْعَانِ مَا غَلَبَ الْإِعْرَاءُ الضَّفْدَعَ فَقَالَ بِلَهْفَةٍ:
«لَقَدْ كُنْتُ دَائِمًا أَتَوَقَّعُ إِلَى قِيَادَةِ سَيَّارَةٍ أَرْجُوكُمْ اسْمَحُوا لِي أَنْ
أُحَرِّبَ!» وَقَدْ عَجِبَ الرُّكَّابُ لِيَتَنَكَّ الْعَسَّالَةُ الْعَجُوزُ الَّتِي تُحِبُّ
قِيَادَةَ السَّيَّارَاتِ، فَقَالُوا: «فَلْتَجَرِّبْ نَفْسَهَا».

قَادَ ضَفْدُوعُ السَّيَّارَةَ بِطُغْيٍ أَوَّلَ الْأَمْرِ. ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ رَاحَ يُسْرِعُ
وَيُسْرِعُ! صَاحَ الرُّكَّابُ: «رُؤَيْدُكَ، أَيُّهَا الْغَسَّالَةُ!»



فَانْبَرَى ضَفْدُوعٌ يَقُولُ بِخِيْلَاءٍ: «أَنَا لَسْتُ غَسَّالَةً! أَنَا ضَفْدُوعٌ
الْعَظِيمُ الشَّهِيرُ!» ثُمَّ رَاحَ يَزِيدُ فِي سُرْعَةِ السَّيَّارَةِ، مُدْخِلًا الرُّعْبَ فِي
قُلُوبِ الرُّكَّابِ. أَخِيرًا انْعَطَفَ بِالسَّيَّارَةِ انْعِطَافًا حَادًّا سَرِيعًا فَانْحَرَفَتْ
عَنِ الطَّرِيقِ وَوَقَعَتْ فِي بَرَكَةِ مَاءٍ.

قَفَزَ ضَفْدُوعٌ مِنَ السَّيَّارَةِ وَاسْرَعَ هَارِنًا بَيْنَ الْحُقُولِ، تَارِكًا
الرُّكَّابَ غَارِقِينَ فِي بَرَكَةِ الْمَاءِ الْمُوَحِّلَةِ وَرَاحَ يُغْنِي أُغْبِيَّةً أُخْرَى
سَتَدِخُّ بِهَا نَفْسَهُ. قَالَ:

أَنَا فَتَاكَ فَهَمٌ
نَابِهٌ جَمُّ الدَّهَاءِ.
إِنَّ لِي رَأْيًا ذَكِيًّا
حَارَ فِيهِ الْأَذْكِيَاءُ!

لَكِنَّهُ حِينَ انْتَفَتَحَ إِلَى وَرَاءِ رَأْيِ سَائِقِ السَّيَّارَةِ وَرَحَى شُرْطَةٍ
يَسْعَوْنَ وَرَاءَهُ جَاهِدِينَ.



٩ مَعْرَكَةُ مَنَزْلِ صَفْدُوعٍ

أَعْطَى حُرَيْدٌ صَدِيقَهُ الصَّفْدُوعَ ثِيَابًا جَافَّةً وَطَيِّبَ خَاطِرُهُ. ثُمَّ رَوَى لَهُ مَا حَدَّثَ فِي أَثْنَاءِ غِيَابِهِ.

لَقَدْ اسْتَغَلَّتِ الْحَيَوَانَاتُ الْمُفْتَرِسَةُ فِي الْغَايَةِ غِيَابَ صَفْدُوعٍ وَاسْتَوْلَتْ عَلَى مَنَزْلِهِ. وَيَعِيشُ الْآنَ فِي الْمَنَزْلِ حَيَوَانَاتُ ابْنِ عَرَسٍ وَابْنِ مِقْرَضٍ وَالْقَاقِمِ، تَأْكُلُ طَعَامَ صَفْدُوعٍ وَتَشْرَبُ شَرَابَهُ وَتَزْعُمُ أَنَّهُ لَنْ يَعُودَ أَبَدًا.

هَمَّ صَفْدُوعٌ بِالصُّعُودِ فَوَرَّأَ إِلَى مَنَزْلِهِ وَطَرَّدَ الدُّخَلَاءَ. لَكِنَّ حُرْدَ الْمَاءِ أَخْبَرَهُ أَنَّ الْحَيَوَانَاتِ الْمُفْتَرِسَةَ أَقَامَتْ عَلَى سَائِرِ الْأَتُوبِ وَمَنَافِدِ الْبَيْتِ حَرَسًا مُسَلَّحًا. وَلَقَدْ اسْتَكْشَفَ غَرْغُورٌ وَخَلُودٌ وَهُوَ نَفْسُهُ الْمَكَانَ مِرَارًا وَتَأَكَّدَ لَهُمْ أَنَّ لَا سَبِيلَ إِلَى دُخُولِ الْبَيْتِ.

فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ وَصَلَ غَرْغُورٌ وَخَلُودٌ وَقَدْ بَدَا عَلَيْهِمَا التَّعَبُ. كَانَتْ ثِيَابُ غَرْغُورٍ مُنْطَخَةً بِالْوَحْلِ. نَظَرَ إِلَى صَفْدُوعٍ وَقَالَ بِتَحَسُّرٍ: «أَهْلًا بِكَ يَا صَدِيقِي الْمِسْكِينِ! يُوسِفِي أَنَّ حَالَتِكَ سَيِّئَةٌ هَذِهِ الْأَيَّامَ.» ثُمَّ جَلَسَ بَعْدَ أَنْ تَنَاوَلَ قِطْعَةً مِنَ الْحَلْوَى.

أَمَّا خَلُودٌ، الَّذِي كَانَ فِرَاوْهَ مَلِيًّا بِالْقَشِّ، فَقَدْ رَاحَ يَرْقُصُ حَوْلَ صَدِيقِهِ الصَّفْدُوعِ وَيَقُولُ بِسَعَادَةٍ: «لَقَدْ أَفْلَتْ إِذَا، أَيُّهَا الذَّكِيُّ!»



أَخَذَ صَفْدُوعٌ الْمِسْكِينُ يَجْرِي بِأَقْصَى قُوَّتِهِ لَاهِثًا. لَكِنَّهُ كَانَ بَدِينًا جَدًّا، فَأَخَذَتْ الْمَسَافَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُطَارِدِيهِ تَضِيقٌ. أَحَسَّ مَرَّةً أُخْرَى بِغَيْبِهِ، وَعَرَفَ عَاقِبَةَ حُبِّ الظُّهُورِ وَالْإِدْعَاءِ وَالْحِيَلَاءِ. وَصَلَ إِلَى ضَفَّةِ نَهْرٍ وَرَمَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ.

رَاحَ يَسْبَحُ بِمَا بَقِيَ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى حُفْرَةٍ عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ الْأُخْرَى. تَعَلَّقَ بِالْحُفْرَةِ وَنَظَرَ فِي دَاخِلِهَا.

سُرْعَانَ مَا أَطْلَّ عَلَيْهِ مِنْ قَلْبِ الْحُفْرَةِ وَجْهٌ مُسْتَدِيرٌ نَيٌّ، ذُو شَارِبَيْنِ كَبِيرَيْنِ وَعَيْنَيْنِ مُتَالِقَتَيْنِ. وَكَانَ ذَلِكَ الْحَيَوَانُ صَدِيقَهُ جُرْدَ الْمَاءِ.





أثارت هذه العبارة حماسة صفدوع فراح يروي مغامراته للحلبد
المُعجب.

قال حرّيد : « لا تفسح له في مجال رواية الحكايات ، يا خلود ،
فإن علينا أن نفكر فيما سنقدم عليه . »

راحوا جميعاً يتحدثون دفعة واحدة . أحيراً أسكتهم غرغور ،
وتناول قطعة جبن ثم قال :

« يا صفدوع ، إنك حيوان صغير شقي مشاغب ، ألا تخجل من
نفسك ؟ ما الذي كان يمكن أن يقوله أبوك ، صديقي ، لو عرف
بأفعالك المشينة ؟ »

أدار صفدوع وجهه وأخذ ينشج بالبكاء .

تابع غرغور كلامه قائلاً : « لا تبك ! ما فات فات . سأشرح
الآن خطتي لاسترداد المنزل . إن نفقا سرّياً - وراح يشرح
للحيوانات المتلهفة تفاصيل خطته .

يمتد النفق السري إلى داخل المنزل حيث ينتهي في غرفة
مجاورة لغرفة الطعام . وكانت ستقام في تلك الليلة وليمة عشاء
احتفالاً بعيد ميلاد زعيم بنات عرس . وستكون الحيوانات المفترسة
جميعها في القاعة تتناول طعامها وتمرح ، ما عدا نفراً قليلاً من
الحرس عند مداخل المنزل .

سيزحف غرغور وجماعته عبر النفق مزودين بأسلحة كثيرة ، ثم
ينقضون على الحيوانات المفترسة على حين غرة .

كان عند غرغور كومة من الأسلحة قام جرّيد بتوزيعها على
الذين سيقومون بالهجوم .

ثم تناولوا طعام العشاء . وانتظروا حلول موعد الهجوم . هبط
الظلام ، وحمل كل منهم أسلحته ، واتجهوا ناحية النفق السري .
وكان غرغور يسير في أول الموكب حاملاً معه عصا غليظة .

كانوا يتوقفون بين الحين والحين لِشِدَّةِ الظَّلامِ . وكثيراً ما كانوا
يَضْطَلِمُونَ نَعْصُهُمْ بِنَعْصٍ . وَقَدْ أَفْرَعَ الظَّلامُ الضَّفَدَعَ الَّذِي كَانَ يَسِيرُ
فِي آحِرِ المَوْكِبِ . وَشَرَّعَانَ مَا أَخَذَتْ أَصْوَاتُ الحَفَلَةِ الصَّاحِبَةَ تَصِلُ
إِلَيْهِمْ .

قالَ غَرَّغُورُ : «الآنَ ، أَيُّهَا الشُّجْعَانُ !» ثُمَّ خَرَحُوا مِنَ النَّفَقِ إِلَى
الْغُرْفَةِ المُجاوِرَةِ لِغُرْفَةِ الطَّعامِ . وَسَمِعُوا زَعِيمَ بَنَاتِ عِرْسٍ يُلْقِي
خِطَاباً :

«أَوَدُّ أَنْ أُوجَّهَ إِلَى مُضِيْفِنا ضَفْدُوعَ كَلِمَةً - ضَفْدُوعَ هَلْادِي !
ضَفْدُوعَ المُتَوَاضِعِ ! ضَفْدُوعَ الصَّادِقِ !» وَراحَ كُلُّ مَنْ
فِي الحَفَلَةِ يَضْحَكُ .

ثُمَّ تَابَعَ الزَّعِيمُ حِطَانَهُ قَائِلاً : «لَقَدْ أَلْفَتْ عَنْهُ جَرَاءَ كَرَمِهِ
أُغْنِيَةً !» وَراحَ يُغَيِّ بِصَوْتِهِ القَبِيحِ أُغْنِيَةً نَعِيضَةً ، يَسْحَرُ فِيهَا مِنْ
ضَفْدُوعٍ وَوَلَعِهِ بِالسِّيَّارَاتِ وَوُقُوعِهِ فِي السَّجْنِ .

قالَ ضَفْدُوعُ : «سَأَمْرُقُهُ !»

وصاحَ غَرَّغُورُ : «الآنَ !» وَانْدَفَعَ أَرْبَعَتُهُمْ إِلَى قَاعَةِ الطَّعامِ
مُشْرَعِي السَّلَاحِ .

دَبَّ الدُّعْرُ فِي بَنَاتِ عِرْسٍ فَرَاخَتْ تَصِيحُ وَتَتَرَاكُضُ طَالِبَةً
النَّجَاةَ .



حاولت بنات عرس الاختباء تحت المائدة ، وأسرعت بنات
مقرض إلى المدفأة وعلقت في المدخنة.

راح غرغور الجبار يضرب بعصاه يمينا ويسارا. وصاح خلود
صبيحة محارب : «جاءكم الخلد ! جاءكم الخلد !» ولوح جرند
بمسدسه. أما صفدوع فقد نفخ صدره إلى أقصى ما يستطيع واتجه
نحو زعيم بنات عرس.

أخيرا خلت القاعة للمهاجمين الأربعة ، بعد أن فرت الحيوانات
المقترسة عائدة إلى الغابة ، ما عدا عددا قليلا منها زودها الخلد
بمكائس وأمرها أن تنظف المنزل وترتبه.



١٠ عودة الجوال التائه

أراد صفدوع في صبيحة اليوم التالي أن يدعو صحبه وجيرانه إلى
مأدبة عشاء احتفالا بعودته إلى المنزل. أقام صباحه يعد برنامجا
حافلا. فأعد أغاني يغنيها هو ، وخطبا يلقيها هو عن «نظام السجن»
و«سياسة الخيل» وما يشبه ذلك من موضوعات.

عندما رأى أصحابه ما أعد لهم من برنامج قالوا له : «عليك يا
صفدوع أن تنسى حبك للظهور والتباهي نهائيا».

«لا خطب إذا؟»

«لا خطب !»

«ولا حتى أغنية واحدة صغيرة؟»

«ولا حتى أغنية واحدة صغيرة !»



رَأَى ضَفْدُوعَ الْمِسْكِينِ أَنَّ لَيْسَ أَمَامَهُ إِلَّا أَنْ يَعِدَّ بِالْإِتِّعَادِ عَنْ
حُبِّ الظُّهُورِ وَالتَّبَاهِي. لَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى غُرْفَةِ نَوْمِهِ وَنَظَرَ فِي الْمِرْآةِ
فَرَأَى أَنَّ يُغْنِي أَمَامَ الْمِرْآةِ أُغْنِيَةً آخِرَةً يَمْتَدِّحُ بِهَا نَفْسَهُ. وَالْأُغْنِيَةُ
هِيَ :

أَنَا قَتَانٌ جَمِيلٌ مَنْ يُدَانِنِي جَمَالًا ؟
كُلُّ مَا قُلْتُمْ قَلِيلٌ مَنْظَرِي فَاقَ الْخِيَالَا

* * *

إِنَّ لِي صَوْتًا بَدِيعًا طَارَ فِي كُلِّ الدِّيَارِ
فاسْمَعُوا صَوْتِي جَمِيعًا غَارَ مِنْ صَوْتِي الْكِنَارُ

* * *

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنِّي إِنِّي ، لَا فَخْرَ ، ضِفْدَعُ
إِنَّ مِنْ بَابِ التَّمَنِّي أَنْ تَرَى فِي النَّاسِ أَرْوَعَ

* * *

عُذْتُ لِلْبَيْتِ آخِرًا بَعْدَ تَجَوُّالِ كَثِيرِ
فَاغْرُشُوا الْأَرْضَ حَرِيرًا عَادَ لِلْبَيْتِ الْأَمِيرُ

* * *

غَنَى ضَفْدُوعٌ أُغْنِيَتَهُ الْآخِرَةَ بِصَوْتٍ عَالٍ وَبِإِحْسَاسٍ قَوِيٍّ.
وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى نِهَائِهَا عَادَ وَبَدَأَ يُغْنِيهَا مِنْ جَدِيدٍ. وَفَعَلَ ذَلِكَ
مَرَّاتٍ. أَخِيرًا عَادَ إِلَى أَصْدِقَائِهِ. وَقَدْ رَفَضَ فِي الْحَفْلَةِ أَنْ يُنْسَبَ
الْفَضْلَ فِي الْإِتِّصَارِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَقَالَ بِتَوَاضُعٍ : « إِنَّهَا فِكْرَةٌ غَرَّغُورُ ،
وَقَدْ قَامَ جُرَيْدٌ وَخَلَّودٌ بِالْعِبَاءِ الْأَكْبَرِ مِنَ الْقِتَالِ . » نَظَرَ جُرَيْدٌ وَخَلَّودُ
وَاحِدَهُمَا فِي وَجْهِ الْآخَرِ مُنْدهِشَيْنِ. أَخِيرًا تَغَيَّرَ ضَفْدُوعُ !

أَرْسَلَ ضَفْدُوعُ إِلَى كُلِّ مِنْ ابْنَةِ السَّجَّانِ وَسَائِقِ الْقِطَارِ رِسَالَةً شُكْرٍ
وَهَدِيَّةً. وَأَرْسَلَ لِلْمَرْأَةِ الْبَدِينَةِ ثَمَنَ الْجَوَادِ الَّذِي أَخَذَهُ مِنْهَا. وَلَمْ
يُرْسِلْ لِلْغَجَرِيِّ شَيْئًا لِأَنَّ الْغَجَرِيَّ كَانَ الرَّابِحَ فِي الصَّفَقَةِ الَّتِي عَقَدَهَا
مَعَهُ.

كَانَ الْأَصْحَابُ الْأَرْبَعَةُ كَثِيرًا مَا يَتَنَزَّهُونَ صَيْفًا فِي الْغَابَةِ. وَكَثِيرًا
مَا كَانَتْ أُمَّهَاتُ بَنَاتِ عِرْسٍ تُخَوِّفُ الْأَشْقِيَاءَ مِنْ صِغَارِهَا بِغَرَّغُورِ
الضَّخْمِ. وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَدْلِ فِي شَيْءٍ ، فَغَرَّغُورُ يُحِبُّ
الصَّغَارَ ، لَكِنَّ التَّخْوِيفَ بِهِ كَانَ دَائِمًا يُعْطِي ثِمَارَهُ.



تسعى مكتبة لبنان من خلال هذه السلسلة إلى تعريف القارئ العربي بروائع الأدب العالمي ، وإعداده للدخول ، فيما بعد ، في عالم القصص الخالدة من باب الواسع . إننا نعتقد أن من حق أبنائنا أن يكونوا فكرة صحيحة شاملة عن إنتاج القصص الدائمة الصيت في مختلف أصقاع الأرض .

على أننا نثق أن هذه القصص تصلح ، بالشكل الذي نقدمها فيه ، للكبار أيضا . لأننا حرصنا على ألا نتقص من جوهر الفكرة التي يقوم عليها العمل ومن بناء الشخصيات كما أرادها المؤلفون .

وحرصنا على المحافظة على عناوين الكتب الأصلية وكذلك على أسماء العلم والأماكن ، كما وردت في الأصل ، رغبة في إعطاء صورة حقيقية عن الجو العام للقصص ، من حيث المكان والأوضاع الاجتماعية والأحداث التاريخية ، وخدمة للهدف الذي تسعى إليه وهو تمهيد الطريق للتعرف إلى الأدب العالمي . على

أننا تجنبنا الخوض في تفاصيل الأسماء التي لا تتعلق مباشرة بصلب الموضوع ولا تؤثر على سير الأحداث ، وذلك لكي لا نربك القارئ العربي بأسماء ثانوية الأهمية ، غريبة اللفظ قليلة التواتر . وتمتاز هذه القصص كلها بأنها شديدة التشويق ، وتقوم في غالبيتها على المغامرات المثيرة . وأكثر هذه القصص المختارة كتبت أصلا لترضي جمهور الشباب ، وهي من هذه الناحية ترضي مشاعرهم ومبادئهم وحبهم للإنطلاق واكتشاف المجهول .

إن هذه القصص جميعها ، وإن تكن في غالبيتها تقوم على حب المغامرة ، تتناول أصدق المشاعر الإنسانية ، وتصور كفاح الإنسان لتحقيق مثله العليا دون أن يعبأ بالتضحيات .

وزودت كتب السلسلة جميعها بمقدمات تعرف بالمؤلف كما زودت برسوم ملونة رائعة تضيء جوا من السحر على أحداث القصص ، وتصور الخلفيات الاجتماعية والتاريخية أصدق تصوير .



Series 654 Arabic

في سلسلة كتب المطالعة الآن أكثر من
٣٥٠ كتابًا تتناول ألوانًا من الموضوعات
تناسب مختلف الأعمار. اطلب البيان
الخاص بها من :
مكتبة لبنان - ساحة رياض الصلح -
بيروت